الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

آليات المحاججة والإقناع في الخطاب القرآني
دراسة تداولية - سورة الكهف أنموذجا -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

إعـــداد الطـــالبتين:

* سميرة غومة
* مريم بوغزالة محمد

إشراف الأستـاذة:

* نجاح مدلل

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة

اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
فاطمة عبابة	دكتورة	جامعة حمه لخضر – الوادي	رئيسا
نجاح مدلل	دكتورة	جامعة حمه لخضر – الوادي	مشرفا
مريم غرايسة	دكتورة	جامعة حمه لخضر – الوادي	مناقشا

الموسم الجامعي:1444-1445هـ/2023-2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

شكر وعرفان

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين

ما سلكنا البدايات إلا بتيسيره وما بلغنا النهايات إلا بتوفيقه وما حققنا الغايات إلا بفضله

الحمد لله قولا وعملا، والحمد لله على التمام والإنجاز

وانطلاقا من مبدأ أنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس فإننا نتقدم بفائق الشكر والامتنان

إلى كل من مد لنا يد العون وساعدنا على إنجاز هذا البحث

ونخص بالذكر الدكتورة نجاح مدلل

التي أشرفت بعناية فائقة على هذا العمل وكانت لها بصمة واضحة من خلال توجيهاتها البناءة

والشكر موصول أيضا إلى عائلاتنا التي صبرت وتحملت معنا ورافقتنا بالكثير من الدعم

نشكر جميع زميلاتنا وزملائنا الذين رافقونا في مسيرتنا

فألف تحية وتقدير وامتنان لكم جميعا .

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل القرآن نورا هاديا، وروحا سارية، ومعجزة باقية، وحجة ملزمة، كما جعله عصمة ونجاة لمن تمسك به، وعمل بحكمه، وتخلق بأخلاقه، والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن سيدنا وشفيعنا محمدﷺ.

لقد شرف الله عزّ وجل الرسولﷺ بإنزاله للقرآن الكريم عليه، وهي نعمته سبحانه وتعالى التي أسبغها على العرب خاصة، وعلى الأمة عامة، ويعدّ القرآن الكريم بأسلوبه وبيانه، ونظمه وجودة سبكه، المنبع الذي لا تخلو منه حقبة مرت بها اللغة العربية مما يزخر به من عطايا على العلم كافة، ومازال تأثير هذه المعجزة على الفكر البشري وذلك بدقة تعابيره، وعظيم بيانه ووسائل إقناعه والتي تناولناها في البحث المقدم والموسوم بـ **آليات المحاججة والإقناع في الخطاب القرآني – دراسة تداولية–سورة الكهف أنموذجا.**

ويعود اختبارنا لهذا الموضوع لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية دفعتنا لتناوله، فدراستنا تنصب حول القرآن الكريم وهو النبع الثري والمصدر العذب الذي لا ينضب، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه ومعجزاته على مر العصور، وكذا رغبة منا في الإحاطة وتناول ولو جزء بسيط من أسرار ومكنونات القرآن الكريم. وأيضا لأهمية موضوع الحجاج كونه موظفا في جميع أنواع الخطاب، والذي لا يزال محط اهتمام اللغويين والبلاغيين والفلاسفة، خاصة في الآونة الأخيرة لما يحتويه من أدوات وآليات تجعل من الخطاب وسيلة لإقناع المتلقي، والتأثير فيه حتى يفهم فهما معيّنا ويدرك إدراكا مخصصا.

وقد كان اختيارنا لسورة الكهف بالتحديد كونها تمثل اختبارا من كفار قريش ويهود مكة للرسولﷺ على نبوته وأنه رسول من الله، فجاءت سورة الكهف حجاجية تجسدت في قصص، وكل قصة تعطي موعظة حية لتجتمع كلها في خدمة الغرض القرآني الأساس الذي نزلت من أجله السورة، وتربط على قلب رسول الله ﷺ وقلوب المؤمنين معه، لأن الله يؤيد

بنصره عباده المؤمنين، وكان الحجاج المنطقي أقرب صورة للتعبير عن هذه المؤازرة، فقد كانت السورة منذ بدايتها حجاجية إلى نهايتها.

ومن خلال عنوان البحث فإن بحثنا يحمل إشكالية عامة مفادها: ما هي الآليات الحجاجية ؟ وما وما علاقته بالخطاب القرآني ؟وهل توفر عنصر الحجاج بآلياته في سورة الكهف؟

وللوصول إلى الإجابة عن هذه الإشكالية تطلب منا وضع خطة مفصلة تمثلت فيمايلي:

مقدمة ثم مدخل يحمل عنوان مفاهيم الحجاج، قدمنا فيه تعريفا للحجاج لغة واصطلاحا عند العرب والغرب قديما وحديثا، يليه الفصل الأول ويتكون من ثلاثة مباحث أولها بعنوان: ماهية الخطاب القرآني والذي تطرقنا فيه إلى مفهوم الخطاب القرآني، ثم الحجاج في الخطاب القرآني وكذا خصائص الحجاج القرآني.

أما المبحث الثاني فهو بعنوان الخطاب والإقناع ودلالة الحجاج في القرآن الكريم، والذي يحوي عناصر: "الحجاج والخطاب" و "الحجاج والإقناع" و "دلالة الحجاج في القرآن الكريم"، أما المبحث الثالث فهو بعنوان الآليات الحجاجية، وقد تطرقنا فيه إلى الآليات اللغوية والآليات البلاغية والآليات شبه المنطقية.

ثم الفصل الثاني بعنوان آليات الحجاج في سورة الكهف، ويحتوي على التعريف بالسورة وسبب نزولها، والمواضيع التي احتوتها، ثم تطرقنا إلى استخراج أغلب الآليات الحجاجية الواردة فيها.

وأخيرا ختمنا بحثنا بخاتمة تعرض أهم النتائج.

أما المنهج المعتمد والذي فرضته طبيعة البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته وطبيعة موضوع البحث.

ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع أهمها "الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية" لعبد الله صوله ،بالإضافة إلى "الحجاج والخطاب" لأبي بكر العزّاوي، و"إستراتيجيات الخطاب" لعبد الهادي بن ظافر الشهري، وكتاب "تقانة التحليل الحجاجي" للزهر كرشو.

وقد اعترضت طريق إنجازنا لهذا البحث صعوبات منها: تداخل موضوع الحجاج مع معارف أخرى كالفلسفة والبلاغة واللسانيات وتداخله مع علمي النحو والدلالة، إلا أنه وبتوفيق من الله عزّ وجل وجهود أستاذتنا الفاضلة (نجاح مدلل) التي حاولت قدر المستطاع أن تيسر لنا كل ما تعسّر وأنارت كل ما كان غامضا بملاحظاتها وتوجيهاتها.

والله ولي التوفيق.

مدخل

مفاهيم الحجاج عند العرب والغرب

"تعد التداولية مبحثا من مباحث الدراسات اللسانية الحديثة التي تطورت إبان السبعينات من القرن العشرين، وقد ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية، وقامت على أنقاض المدرسة السلوكية، ويهتم هذا المبحث بدراسة كيفية فهم الناس بعضهم بعضا وبطريقة انتهاجهم لفعل تواصلي أو فعل كلامي في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد يتم من خلاله التعامل مع المعاني التي يتغاضى عنها علم الدلالة، فالتداولية بهذا المعنى فعل تواصلي مرتبط بالوظيفة المرجعية تضع المرسل إليه في مواجهة مع المرسل الذي يتحمل مسؤولية الفعل الكلامي، لهذا ركزت التداولية على دراسة مباحث كثيرة"[1]، ومن أهمها الحجاج الذي يعتبر ألية تتجسد عبرها استراتيجية الإقناع، حيث إنّ نقل المعلومات وتبادل الآراء بين المرسل والمتلقي يتضمن القصد والنية لإحداث الإقناع بأسلوب المحاججة وذلك عن طريق آليات سنحاول في بحثنا هذا أن نحيط بها.1

أولا: مفهوم الحجاج.

1-المعنى اللغوي:

ذكر مفهوم الحجاج في العديد من المعاجم، فنجدُه في **لسان العرب** "لابن منظور 711هـ" في مادة (ح ج ج) بأنّه: «من حاجّ وحاججتُه أحاجّه حجاجًا ومحاجّة حتى حَاجَجْته أي غلبته بالحجج التي أدْليت بها، وحاجّه مُحاجّة وحجاجًا نازعه بالحجة، والحجّة: البرهان، وقيل الحجّة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجّة الوجه الذي يكون به الظّفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جدل»[2].

أي أن "ابن منظور" جعل الحجاج مرادفا للجدل صراحة في قوله: هو رجل محجاج أي جَدِلٌ.

[1] – نجاة مطاوي – يوسف بن زحاف، نظرية الأفعال الكلامية بين جون أستن وجون بيرل، المدونة، المجلد 10 العدد1، ماي 2013، ص1542.

[2] – محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (ح.ج.ج)، مج2، ص 259.

والتّحاج: «التّخاصم وحاجه محاجّة وحجاجا: نازعه الحجّة وفي الحديث: فحجّ آدم موسى أي غلبَهُ بالحجّة وفي حديث الدّجال إنْ يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه أي مُحاجه ومُغالبُه بإظهار الحجّة عليه، والحجّة الدليل والبرهان»[1].

والجدل عند ابن منظور أيضا هو: «مقابلة الحجّة بالحجّة والجدل: اللّدد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالا ورجل جدل ومجدال: شديد الجدل، ويقال: جادلت الرّجل فجدلته جدالا أي غلبته، وجادلَه أي خاصمه مجادلة وجدالاً، والاسم الجدَلُ وهو شدَّةُ الخصومة. وفي الحديث "ما أوتي الجدل قوم إلاّ ضلُّوا" والجدل: مقابلة الحجّة بالحجّة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة»[2].

وأمَّا الحجاج في **المعجم الوسيط** فقد ورد بمعنى الحجّة: «الدليل والبرهان، ويقال حاجّه فحجّه وغلبه بالحجّة والمحجاج الذي يكثر الجدل»[3].

ونتيجة لما سبق من المعاني اللغوية نلاحظ أن كلمة حجاج تحمل معنى البرهان والدليل ومعنى التخاصم والنّزاع والجدل والغلبة.

ومعناه عند "ابن فارس 395 هـ" في **مقاييس اللغة:** «يُقالُ حَاجَجْتُ فلانًا فحججته أي غلبتُه بالحجّة، وذلك الظّفر يكون الخصومة، والجمع حُجَجٌ والمصدر الحجاج»[4].

من خلال التعاريف السابقة يتبيّن لنا أن الحجاج يظهر أثناء المخاصمة بين اثنين فأكثر، والوسيلة التي يستعملها المتكلم الغالب على خصمه هي الحجّة.

---

[1] – المرجع نفسه، ص 260.

[2] – المرجغ نفسه، ص 12–125.

[3] – المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004/1425، ص 157.

[4] – أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، مج2، دط، 1399هـ/ 1979م ص 30.

كما عرَّفه "الزّمخشري 538هـ" في كتابه **أساس البلاغة** بقوله: «حجج: احتجّ على خصمه بحجة شهبا، وبحجج شهب، وحاجّ خصمه فحجّه وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجّة وملاجّة»[1].

فنجد أن الزّمخشري حدد معنى الحجاج في المخاصمة والمغالبة.

والحجاج في الأصول اللاتينية نجد كلمة «"argument" من الفعل "arguer" وتعني جعل الشيء واضحا ولامعا وظاهرا من جذر اغريقي "argues" وتعني أيضا لامعًا»[2]، أما مصطلح argumentation حسب قاموس Le grand Ropert فهو: «مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة»[3].

إذا الحجاج هو تقديم الحجّة والأدلة المؤدية إلى نتيجة معيّنة.

أما في اللغة الانجليزية «فلفظ "Argue" يشير إلى وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كلّ منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب والعلل "Reasons" التي تكون الحجّة "argument" مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما»[4].

2-المعنى الاصطلاحي:

إنّ لمفهوم الحجاج العديد من التّعريفات المختلفة فبعضهم يرى أن الحجاج مرادفا للجدل، وبعضهم الآخر ربطه بالخطابة، وهناك من درسه من خلال تقسيمه إلى ضمني وصريح. وفيما يلي لمحة عن أهم هذه التّعريفات:

أ- الحجاج عند العرب:

1-القدامى:

تناول العرب القدامى مصطلح الحجاج ومن أبرزهم:

---

[1] – محمود بن عمر الزّمخشري، جار الله أبو القاسم، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ص 113.

[2] – عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب، أربد، الأردن، ط1، 2012، ص 10.

[3] – هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع5، مارس 2006، ص 172.

[4] – المرجع نفسه، ص 172.

"أبو الوليد الباجي 474هـ " في كتابه **المنهاج في ترتيب الحجاج** فقد قال في مقدمته: «وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنًا لأنه السّبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المُحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لمَا قامت حجّة ولا اتّضحت محجّه ولا علم الصحيح من السّقيم ولا المعوّج من المستقيم»[1].

فمن خلال التّعريف السابق نجد أنّ الحجاج هو علم قائم بذاته له أركانه وطرقه الخاصة به، وهدفه معرفة الحقيقة والتّمييز بين الصّحيح والمحال.

أما "الزّركشي 794هـ" فقد عرّفه بقوله: «هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجّة عقلية تقطع المعاند له فيه»[2].

وقد عرّفه "ابن خلدون 808هـ" في **المقدّمة** عند حديثه عن أصول الفقه فقد أقرّ بضرورة استعمال الحجاج بوصفه آلية الإقناع واعتبره: «معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم»[3].

وبناء على تعريفات القدامى للحجاج نجد أنّ للحجاج علاقة بالجدل والإقناع والمناظرة.

2-المحدثون:

ومن أبرز الباحثين في نظرية الحجاج ولا سيما في المغرب العربي "طه عبد الرحمان" الذي عُرف عنه اشتغاله الفلسفي وقد عرّف الحجاج بقوله: «إنّه فعاليّة تداولية جدليّة، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضا جدلي لأنّ هدفه اجتماعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية»[4].

فالمقصود من خلال التعريف أن الحجاج مرتبط بالجدل أثناء التخاطب بين الأفراد.

---

[1] – أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد الحميد التركي، دار المغرب الإسلامي، المغرب، ط2، دت، ص8.

[2] – محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المكتبة المصرية، بيروت، دط، دت، ج3، ص 486.

[3] – عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، المقدمة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 2005، ص 14.

[4] – طه عبد الرحمان، في أصول وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرّباط، المغرب، ط2، 2000، ص 65.

وقد ركّز محمد العمري في دراسته على الأبعاد التّداولية في البلاغة العربية، وعلاقتها بمختلف العلوم الأخرى، لكن قبل الوصول لتلك الأبعاد نجده يتّبع مسيرة البلاغة العربية من خلال اهتمامه بالحجاج اهتماما كبيرا ولا سيما المحاورة بين المتكلّمين إذ أنّ: «المخاطبة الاجتماعية تتّسم بالنصح والمشاورات لتناول الخطاب العلاقة بين النّاس، وتنظيم المجتمع وأنّ الخطاب الوجداني هدفه المشاركة في الأحزان والمسرّات، ويعتمد الخطاب الموجّه في مجمله على الحجج المعمّقة والأسلوب الجميل المؤثّر»[1]. فالحجاج لدى "العمري" يحمل معاني الإقناع والجدل والبرهان.

كما عرّف البلاغة الجديدة بأنّها: «علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التّأثير أو الإقناع أو هما معًا إيهاما وتصديقا»[2].

وتظهر جهود "حمادي صمود" الذي اعتبر أنّ بلاغة الحجاج أدقّ مواضيع الدّرس البلاغي وأكثرها أهمية حيث قال: «فالحجاج علاقة بين طرفين أو عدّة أطراف تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطّرفين فيها أن يؤثر على الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقاده أو يُميله عنه أو يصنعه له صنعا، والرسائل التي تساعد على تحقيق هذه الأهداف المتعدّدة منها ما هو متعلق بالمتكلّم، ومنها المتعلق بالمخاطب ومنها الخاص بالمقام، ومنها ما هو الأغلب الأعمّ ما يأتي من اللغة ذاتها»[3].

وقد أسهم "أبو بكر العزّاوي" في هذا المسار حيث يرى «أنّه لأخذ فكرة واضحة عن مفهوم الحجاج ينبغي مقارنته بمفهوم البرهنة أو الاستدلال وأنّ الحجاج هو تقديم الحجج والأدلّة المؤدّية إلى نتيجة معيّنة وهو يتمثل في إنتاج تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب»[4].

---

[1] – محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، افريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2002، ص 59.

[2] – محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التّخيّل والتداول، افريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012، ص 06.

[3] – محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة العربية، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص276.

[4] – أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 2006، ص14.

ويرى أيضا أن الحجاج وصف اللغة وعرّفه «بأنه إنجاز المتكلم لخطاب يعتمد على آليات التقديم والتسلسل والترتيب والاستنتاج لغرض التأثير والإقناع»[1].

ومما سبق من تعريفات العرب المحدثين للحجاج نستنتج بأنه عبارة عن خطاب موجّه للغير هدفه التأثير والإقناع.

ب-عند الغرب:

1-القدامى:

يُعَدُ "أرسطو" المرجع الأساسي في عملية الحجاج لمن جاءوا بعده غربا أو عربا، إذ تأسست دراسته للحجاج على دعامتين أساسيتين أولهما بلاغية وثانيهما جدلية، فأما البلاغية فيربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع، في حين تقوم الجدلية على اعتبار الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بالضرورة، ويتم من خلالها إنتاج العلم[2].

2-المحدثون:

أما في الدرس الغربي الحديث نجد "chaim perelman شايم بيرلمان" و"لوسي أولبريخت تيتكاه lucie olbrechts" فقد أوليا اهتماما كبيرا وذلك من خلال مصنفهما الذي ركزّا فيه على الحجاج وقضاياه وأنواعه ويرى "بيرلمان" أن موضوع الحجاج هو «تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»[3].

وفي موضع آخر تحدّثا عن الغاية من الحجاج وهي «إذعان العقول بالتصديق بما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان، فأنجع حجة هي التي تنجح في تقوية حدّة الإذعان عمن يسمعها وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه، أو هي على الأقل تحقق الرغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة

[1] – المرجع نفسه، ص 17.

[2] – المرجع نقسه، ص 14.

[3] – محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، ع3، مارس 2000، ص 61.

الملائمة[1] فأنجع الحجاج عندهما ما جعل حدّة الإذعان تزيد وتقوى درجتها لدى المتلقي، وجهة نظرهما أيضا حول الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية[2].

والحجاج عند "بيرلمان" يتميز بخمسة ملامح هي:

1/ أن يتوجه إلى مُستمع.

2/ أن يُعبّر عنه بلغة طبيعية.

3/ مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

4/ لا يفتقر تناميه (تقدمه) إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5/ ليست نتائجه ملزمة[3].

كما تناول كلّ من "أوز الديكرو oswald ducrot" و"جون كلود أنسكومبر anscombre brejean claude" الحجاج فتطرّقا إلى مفهومه وآلياته في كتابهما الموسوم "بالحجاج في اللغة" سنة 1973، وحصراه في اللغة وانطلق "ديكرو" من فكرة مفادها «إنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير»[4]. فقد نظرا إلى الحجاج نظرة لسانية وهي «نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنّه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجيّة»[5] أي أنّ «الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتتابع وتترابط على نحو دقيق، فيكون بعضها حجاجيا تدعم وتثبت بعضها الآخر»[6].

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد، ط1، مارس 2004، ص456-457.

[2] – المرجع نفسه، ص 457.

[3] – محمد سالم ولد محمد الأمين، المرجع السابق، ص 61.

[4] – قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، دط، 2012، ص 29.

[5] – المرجع نفسه، ص 29.

[6] – صابر حباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص32.

وقد أقرّ "ديكرو" أنّ «كلّ قول يحتوي فعلا اقناعيا فأن تتكلم يعني أنك تحاجج (كلّ قول = حجاج) ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجية»[1].

فالملاحظ هنا التأكيد على ضرورة الحجاج في جميع المحاورات.

ومن ثمّ «فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثّل مكوّنا أساسيا لا ينفصل عن معناه تجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلّم فيها يوجّه قوله وجهة حجاجية ما»[2].

فدراسة الحجاج أخذت «تهتم بإستراتيجية الخطاب الهادف إلى الاستمالة استنادا إلى أنماط الاستدلالات غير الصورية وذلك بغاية إحداث تأثير في المخاطب بالوسائل اللسانية والمقوّمات السياقية التي تجتمع لدى المتكلم أثناء القول من أجل توجيه خطابه والوصول إلى بعض الأهداف الحجاجية»[3].

فالحجاج هنا هو طريقة عرض المرسل الحجج والأدلة والبراهين داخل الخطاب بهدف استمالة المتلقي وحمله إلى الإذعان والإقناع. وقد أشار "ديكرو" إلى أنّ الحجج على اختلافها تخضع لترتيب معين يحكمه قانون القوة أو الضعف، لا الصدق أو الكذب، ولعل تراتيب هذه الحجج وتدرّجها من الأعلى إلى الأسفل ومن القوة إلى الضعف هو الذي يمنحها تلك الطبيعة السُلميّة التي نجد الوعي بها بيّنا من خلال عنوان كتابه "السّلالم الحجاجيّة".2

ومن خلال ما سبق ذكره يُمكن القول أنّ الحجاج عند الغرب المحدثين تناول جانبين؛ جانب بلاغي من خلال أعمال "بيرلمان" وجانب تداولي عند "ديكرو" فعلى الرغم من اختلافهما إلاّ أنهما وضعا نظرية حجاجية جذورها القديمة تمتدّ إلى اليونان من خلال أعمال "أرسطو" الذي أرسى معالم الدّرس الحجاجي.

---

[1] – أبو بكر العزّاوي، اللغة والحجاج، ص 14–15.

[2] – محمد سالم ولد محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 192.

[3] – عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، افريقيا الشرق، المغرب، ص 67.

الفصل الأول

يعد القرآن الكريم أسمى خطاب لغوي موجّه من الله سبحانه وتعالى للبشرية وهدفه وغرضه الإيمان بالله وحده لا شريك له، والابتعاد وترك المعتقدات الأخرى الفاسدة ويعتبر القرآن الكريم منهج حياة لذلك يجب الاقتناع به لأنه قائم على مجموعة من الأحكام التشريعية المنظمة للحياة وقد أنزله عزّ وجل «في بيئة شفهية أجلّت الكلام ومجّدت فعله، كما نشأ في تقليد قبلي له أنظمته الاعتقادية ومراسمه الاقتصادية وضوابطه الاجتماعية، فنشأ الخطاب القرآني داخل هذه الملابسات والأسيقة جعلته نصا يناظر نصوصا ويحاور مرجعيات ويجادل ثوابت كان لها فعلها في تاريخ شبه الجزيرة العربية الثقافي زمن الدعوة في بواكيرها»[1]، فالقرآن الكريم نظّم الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي لم تكن منظمة قبل نزوله فقد حاور تلك الأنساق وجادل تلك التعاليم وسائل تلك الثوابت .

المبحث الأول: مفهوم الخطاب القرآني وخصائصه

أولا: مفهوم الخطاب القرآني:

الخطاب القرآني خطاب رباني وإلهي معجز وهو «يمتلك من الأدوات ما يجعله مؤهلا ـ بشكل دائم ـ لأنه يكون من أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب الأنساق الحضارية، إنه رسالة ربانية لكل الناس دون تحيّز أو طائفية أو جغرافية معينة، فهو خطاب هواية وخير، وهذه الخيرية لم تكن فيه امتيازا لطبقة أو طائفة دون أخرى، بل جاءت عامة ينعم بها كل بني البشر»[2] إذن فالخطاب القرآني هو خطاب موجّه إلى كافة البشر غرضه الهداية والخير لكلّ الناس.

فالخطاب القرآني «له دور فاعل ومهم في احتواء كل ما من شأنه أن يتيح للرسالة الخالدة مخاطبة الإنسان بقصد توجيهه ونصحه وتصويب مساره وبالجملة التأثير في مناحي

[1] – علي الشبعان، الحجاج وآفاق التأويل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2010، ص 52.

[2] – لطفي فكري، محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 2014، ص 92.

حياته كافة»[1] وهذا دليل على أن الخطاب القرآني له أهمية وقدرة على إقناع العقل البشري لكن بعد تدبره وفهم معانيه.

إنه خطاب منظم والشيء الذي ينظمه هو الوحدة البنيوية «فهو نظام فكري ونظام لغوي يمتاز (بالاتساق/ الترابط الشكلي) و(الانسجام/ الترابط المعنوي) فلا يدانيه أي خطاب آخر في نظم دواله ودقة مدلولاته وتأليف وتناسق عباراته، إنه خطاب يخاطب العقول ويناجي القلوب ويحمل مضامين تفصح عن مراد الله في توجيه حياة الناس، إنه خطاب متدفق عبر مسارات الأزمنة والأمكنة المتلاحقة متناسب مع أحداثها غير أنه دائم الاحتياج لمن يجدّد حيويته ويثبت له ملاءمته للظروف الزمنية والمكانية المستجدة لأنه غير مقيّد بزمان ومكان»[2].

إذن فالخطاب القرآني هو خطاب فريد ومتميز عن غيره، فالله من خلاله تحدى العرب به رغم أنهم كانوا الأفصح قبل نزوله لكنهم أقروا بتفوقه وإعجازه يكمن في صلاحيته لكل زمان ومكان مهما تغيّرت الظروف لأنه متكيّف مع جميع الظروف، فالخطاب القرآني هو منهاج حياة.

ثانيا: الحجاج في القرآن الكريم.

من الجهود العربية المعاصرة التي سلطت الضوء على دراسة الحجاج في القرآن الكريم نجد "عبد الله صولة" في مؤلفه "الحجاج في القرآن الكريم" الذي درس وحلل الخطاب القرآني معتمدا على النظريات الحجاجية الغربية وقد أقرّ وتوصل إلى أن الخطاب القرآني خطاب حجاجي مقنع، ومما جعله كذلك قوله «لقد توافر في القرآن من المعطيات ما جعله خطابا

[1] – المرجع نفسه، ص 94.

[2] – المرجع نفسه، ص 95.

حجاجيا وما جعل الحجاج يصيب كثيرا من العناصر اللغوية فيه مثل الكلمات والتراكيب والصور، وهي تكرّر فيه تكرارا جعل منها خصائص أسلوبه المتميزة»[1].

من خلال التعريف السابق يتضح أن القرآن الكريم حجاجي في جميع عناصره.

إن الخطاب القرآني خطاب حجاجي وما يثبت ذلك هو أنه خطاب وكل خطاب يقتضي الإقناع والتأثير مثل ما قال "بنفينست" «الخطاب في أعم مفاهيمه كل قول يفترض متكلما وسامعا مع توفر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السّامع»[2].

والمخاطبون في القرآن متعددون فمنهم «من كان مخاطبا في النص (مخاطب داخلي) كما في خطاب الله للناس، وخطاب الأنبياء لأقوامهم، ومنهم من كان مخاطبا عاما (وهو مخاطب خارجي) وهو المستمع أو المتلقي في كل زمان ومكان، وهذا يعني أن الله تعالى في خطاب دائم مع البشر وفي حالة تواصل بهم، بل أشد أنواع التواصل سواء كان هذا التواصل خطابيا من خلال ما أنزله من كتب مقدّسة أو من خلال معجزاته على يد أنبيائه، أو من خلال آياته التي تعيش مع البشر»[3]، والهدف من هذا هو تبليغ الناس وإرشادهم إلى الطريق الصحيح.

والمخاطبون في القرآن نوعان: «نوع يذكر داخل النص القرآني وهذا بدوره قسمان: قسم مذكور معين باسمه ولقبه أو بضمير الخطاب الذي يعينه، شأن خطاب رسول الله ﷺ وخطاب الكافرين في قوله: ﴿قُلْ يَا أيها الكَافرونَ 1﴾ الكافرون 1» وخطاب بني إسرائيل أو أهل الكتاب، وخطاب الذين آمنوا وهو كثير فيه، فهؤلاء هم المتلقون الأوّلون أو السامعون الأولون، ويمثلون ما يمكن أن يسمى في اصطلاح الجمهور الخاص أو الضيق، وقسم

[1] – عبد الله صوله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 40.

[2] – المرجع نفسه، ص 41.

[3] – ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تطبيق على السور المكيّة، دار مكتبة عدنان، ط1، 2015، ص 57.

مذكور في القرآن لكنه غير معيّن ولا محدد، فالمخاطبون هنا ليسوا بأعيانهم والصورة النحوية التي جعلت لهم ضمير المخاطب المفرد عادة [1]. من نحو: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الأنعام 93».

وقوله أيضا: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ النمل 14.

على من اعتبر الخطاب في الآيتين لغير معيّن، وقد يكون الرسول صلى الله عليه وسلم، أما النوع الآخر من المخاطبين «فواقع خارج النص القرآني غير مذكور فيه، ولكنه مع ذلك معني بخطاب القرآن، وهو جمهور السّامعين والمتلقّين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم إنه بعبارة الحجاجيّن الجمهور الكوني»[2].

ثالثا: خصائص الحجاج القرآني:

إن القرآن الكريم خطاب حجاجي موجّه في الأساس للتأثير في المتلقي وسلوكه وتوجيه العقول واستمالة النفوس بهدف الإقناع ومن أهم خصائصه نجد:

أ-خاصية الاستمالة العاطفية:

إن فعالية الخطاب الحجاجي تأتي من «طريقة بنائه وتفاعل عناصره، فالاقتصاد في الأدلة الحجاجية مثلا يكون له دور مهم في عملية الإقناع، إذ المبالغة في سرد الحجج في غير مناسبة يفقد الحجاج فاعليته وقوّته، فهذا ما يقتضيه المقام وسياق الحال»[3]، «كما يتميز الحجاج بميزة التأثير في القلوب واستمالة النفوس دون التغلغل في التدقيقات والجزيئات التي

[1] – عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص 41.

[2] – المرجع نفسه، ص 42.

[3] – فايزة بوصلاح، خصائص الحجاج في الخطاب القرآني، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 26، ص 57.

لا يفهمها غالبية الناس، فنجده في تأمل الإنسان في ملكوت السموات والأرض، واستعراضه لهذا الحشد الذي لا يحصى من الأنواع والأجناس والهيئات والأحوال والأوضاع والأشكال، فتستشعر قلوبهم هذا الوجدان الخاص، وجدان التقوى الذي يدع هذه القلوب تُستمال وتتأثر وتستجيب لمظاهر القدرة والإبداع معجزات الخلق المعروضة للأنظار والأسماع»[1].

فالقرآن الكريم من خلال ما سبق مؤثر ومقنع في النفوس البشرية على اختلاف أجناسهم.

وفي القرآن الكريم نجد آيات الترغيب والترهيب وهي كثيرة جدا ومقصدها وهدفها «الزجر من ارتكاب محضور أو الحث عن امتثال مأمور، وغاية الكل صلاح الفرد وفوزه ونجاته من النار نحو قوله تعالى:﴿ إنَّ هذا القرآن يَهْدي للتّي هيَ أقْوَمُ ويبشّرُ المؤمنين الذين يَعْملون الصّالحاتِ أنَّ لهمْ أجْرًا كبيرًا (9) وَأَنَّ الدينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرَة أعْتدْنَا لهُمْ عذَابًا أَليمًا﴾ الإسراء 9-10»[2].

ومن هنا يمكن القول إن القرآن الكريم يهدف إلى «التغيير في البناء النفسي للفرد من خلال استعمال استمالات التخويف أو التهديد، فالآيات القرآنية التي تعمل على إثارة التوتر العاطفي نتيجة استمالات التهديد أو التخويف ومن خلال تجريب هذه التوصيات وتدعيمها فإنّها تتحول إلى عادات سلوكية»[3] وهذا جوهر هذه الخاصية للإقناع.

ب- خاصية التفاعل والتجاوب:

يرى "طه عبد الرحمان" بقوله إلى أن لفظ الحجاج يدلّ على معنى «التفاعل حتى إنّ ما سواه من مظاهر التفاعل إن تبادلا للتأثير أو تناقلا للتغيير أو ترابطا وظيفيا أو حتى

---

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص 580.

[2] – معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2003/1424، ص 78.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص 83.

تجاوبا وجدانيا، تبدو لنا موضوعة على قانونه ومفهومه على مقتضاه أن الحجاج أصل في كل تفاعل كائنا ما كان»[1]. فالحجاج ينتج عن التفاعل بين المتخاطبين سواء للتأثير أو التداول بين الأطراف.

أي أن الخطاب الحجاجي «يتميز عن باقي الخطابات الأخرى بكونه خطابا موجّها وهادفا مبنيا بناء استدلاليا يتم فيه اللجوء إلى الحجة والاستدلال وإلى المنطق والعقل وموجّها مسبقا بظروف تداولية تدعو إليها مواقف قولية أو اجتماعية أو ثقافية أو علمية وتتطلب الدفاع عن الرأي أو الانتصار لفكرة ما، أو تطلب نقاشا حجاجيا بهدف تعديل فكرة أو نقد أطروحة أو جلب اعتقاد أو دفع انتقاد»[2]. فالخطاب القرآن يتميز عن الخطابات الأخرى بكونه موجها وهادفا في آن واحد.

ج-خاصية المقاصد والغايات:

إن القرآن الكريم هو كتاب إلى كافة الناس، يخاطب فيه الله عز وجل البشرية جمعاء، ليثبت لهم أن الله واحد لا شريك له وأن القصد والهدف من نزوله هو هداية الناس إلى الطريق الصحيح بمعنى أنه يهدف إلى «تغيير وضع قائم، أو واقع حادث، فيصلح الكفار بدعوتهم إلى الإيمان ويصلح المؤمنين بتقويم سلوكهم وتثبيتهم على الهداية وإرشادهم إلى سبيل النجاح وتزكية النفوس»[3]، والغرض من هذا هو تغيير الأوضاع نحو الأحسن والأفضل.

إن الحجاج هو بديل العنف في نظرية الحجاج إذ يمكن حسب بيرلمان وتيتكا أن نسعى لتحقيق النتيجة نفسها باعتماد «إحدى الوسيلتين: "العنف أو الخطاب الإقناعي"

[1] – طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص 299.

[2] – فايزة بوصلاح، خصائص الحجاج في القرآن الكريم، ص 582.

[3] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، ص 81.

والقرآن الكريم من هذه الناحية هو خطاب حجاجي ينبذ العنف في قضية الإيمان»[1] فجاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99)﴾ سورة يونس، ويقول أيضا: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)﴾ البقرة 256 فالآيتان تبينان عدم إكراه المرء وإجباره على الدخول في الإسلام وإنما يدخله ويعتنقه باختياره وإرادته.

وعليه فإن خاصية الخطاب الحجاجي القرآني ومقصده الأعلى هي دعوة الناس إلى الله تعالى فلذلك نجد أبا حامد الغزالي «قد حصر قصص القرآن وآياته في ستة أنواع: ثلاثة منها سمّاها السّوابق والأصول المهمة، وثلاثة سمّاها الرّوادف والتوابع المتمة، أما الثلاثة المهمة فهي: تعريف المدعو إليه، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إليه، أما الثلاثة المغنية المتممة: فأولها أحوال السالكين والناكبين وثانيها محاجبة الكفار ومجادلتهم وثالثها تعريف العمارة ومنازل الطرق»[2]. أما أحوال السالكين فيقصد بها «قصص الأنبياء والرسل كقصة آدم عليه السلام، ونوح عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام، وموسى عليه السلام وغيرهم، بالإضافة إلى ذكر الملائكة أيضا، وأما أحوال الجاحدين والناكبين فهي قصص المنكرين والمشركين كقصة النّمرود، وفرعون وعاد وقوم لوط، وعبدة الأوثان وغيرهم»[3].

ومما سبق نستخلص أن خصائص الحجاج القرآني تتميز بمجموعة من المميزات أهمها:[4]

[1] – قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 27.

[2] – أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، تح: محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ص 23.

[3] – فايزة بوصلاح، خصائص الحجاج في القرآن، ص 583.

[4] – ينظر: محمود عكاشة، تحليل الخطاب، دار النشر للجامعات، القاهرة، دط، 2014، ص 403.

- أنه خطاب محكم البنية والأسلوب والدلالة ولا يحتمل الخطأ أو اللبس أو الطعن في العرض.
- أن أغلب الحجاج فيه دليل واقعي ملزم بإيجاد المثيل أو البديل أو النقيض وأنه يجمع بين الحجاج اللغوي والحجاج المنطقي.
- أنه متنوع: خطاب موجه أو حوار أو حديث أو شكوى أو مناجاة أو دعاء ...
- أنه متعلق بالسياق اللغوي ومتفاعل مع السياق الخارجي الذي أنتج فيه.
- أنه يستدعي الحدث القديم، فيعرضه في الحال حيّا مجسّدا بالحركة والصوت والصورة في مقامه الذي حدث فيه.
- أن المكان والزمان من عناصره التوثيقية التي تؤرخ الحدث المحكي.
- أنه يُسند القول والحدث إلى صاحبهما دون إضمار أو إبهام.
- أنه يوظف المؤثرات الصوتية والمجازية والنفسية التي تلعب دورا في الحجاج والإقناع.
- أنه يحمل على وجوه لغوية وسياقية ومقاصدية.
- أنه يعتمد على مسلمات عقلية مقبولة وأدلة واقعية ثابتة.

المبحث الثاني: الخطاب والإقناع ودلالة الحجاج في القرآن الكريم

أولا: الحجاج والخطاب

إنّ الخطاب القرآني يهدف إلى تحقيق الإقناع والتأثير، فالخطاب هو «متوالية من الأقوال والجمل ومجموعة من العلاقات الدّلالية المنطقية القائمة بينها، أو بتعبير حجاجي مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق»[1].

[1] – أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرّحاب الحديثة، لبنان، ط1، 2010، ص 18.

من بين هذه العناصر الألفاظ والتراكيب والعلاقات النّحوية، الرّوابط والعوامل الحجاجية والاستراتيجيات الحجاجية. ذلك أنّ «الفعالية الحجاجية للخطاب الطبيعي تعني أن الملفوظات لا تندفع في الكلام لتصف وتشرح وتعبر وتبني فقط بل لتحاجج كذلك، فإذا كانت اللغة سلطة فإن القوّة الدافعة لهذه السلطة هي الحجاجية أي درجة الإقناع التي تتراتب في سلّم واحد، بل الخطابات المتوازية التي تدّعي الحقيقة لنفسها، وهذه القوة الحجاجية تحصل بفضل إعادة الاعتبار للذّات المتكلمة (الكاتب/الخطيب) والمتلقّي (القارئ/السامع) وليس للخطاب نفسه إذ هو ممرّ وانتقال»[1]، فتتحدّد مكانته من خلال النّسج والبناء والتّأويل وكفاءة المرسل وللمتلقّي دور في ذلك.

إنّ للحجج في الخطاب طابعا خاصّا فهي تسعى إلى إقناع المتلقي بأنّ «في كل خطاب مكانٌ معينٌ للحقيقة وإنما يحتاج إلى حجة في الخطاب الطبيعي ليتمظهر في جوهر الوجود ويصل إلى مقامات الأغراض والأفعال المنجزة»[2].

مما سبق نستنتج أنّ الحجاج لا يكون في الجملة أو القول فقط بل يتعدّى إلى الخطاب والحوار حيث تظهر طرائق استعماله واشتغاله من خلال توفّر مكوناته وعناصره المتعدّدة وبهذا يحقّق الحجاج هدفه وهو التأثير والإقناع.

ثانيا: الحجاج والإقناع

إن الغاية من الحجاج هو الإقناع وفق آليات لغوية وبلاغية تكمن في ثنايا الخطاب وعليه فإن تعريف الإقناع حسب رأي ابن منظور «أقنع إقناعًا، واقتنع اقتناعًا، وقد عبّر عنه القرآن الكريم باطمئنان القلب نحو قوله تعالى: ﴿ومَا جَعَلَهُ اللَّه إلاَّ بُشْرَى وَلتَطْمئنّ به قُلوبُكمْ وَما النَّصر إلاَّ منْ عندِ اللّه إنَّ الله عزيزٌ حكيمٌ﴾ الأنفال (10) ، فالتأثير أعمّ من الإقناع لأنّه إبقاء الأثر في الشيء، والتأثير في الشيء هو إبقاء الأثر فيه، فالتأثير هو القبول

[1] – ناصر عمارة، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، ط1، 2009، ص 120.

[2] – المرجع نفسه، ص 121.

والانفعال والإقناع يلي التأثير فهما وجهان لهدف واحد والمتلقي لا يقتنع إلا بعد التأثر ومثال ذلك «الخطاب القرآني والخطاب الشعري بحيث يتميز الخطاب القرآني عن الخطاب الشعري بالتأثير والإقناع، فالتأثير يخاطب القلب والوجدان، أي يخاطب في الإنسان إنسانيته ومشاعره المختلفة من الخوف والحذر والإشفاق وغيرها... أما الإقناع فيخاطب في الإنسان عقله المفكّر الذي يختبر الفكرة ويتفحصها حتى إذا اقتنع بها استقرّت يقينا»[1]. فالإقناع سمة أساسية في الخطاب القرآني يميزه عن غيره من الخطابات.

«إنّ الحجاج نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك لقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤدّاها أن نتكلم عامة بقصد التأثير»[2].

وقد أورد الجاحظ هذا في كتابه "البيان والتبيّن" خبرا مفاده «أنّ شيخا من الأعراب تزوّج جارية من رهطه وطمع أنّ تلد له غلاما فولدت له جارية، فهجرها وهجر منزلها وصار يأوي إلى غير بيتها فأنشدت تقول:

مَا لأبي حمزة لا يأتينـــــا يظلّ في البيت الذي يلينا
غضبان أنّ لا تلد البنيـــنا تا للّه ما ذاك في أيدينـــــا
وإنّما نأخذ ما أعطينا

فلمّا سمع الأبيات وَلج إليهما وقبّل ابنته وقال ظلمتكما ورَبُّ الكعبة»[3].

ويعرّف "توماس شايدل" الإقناع بأنّه «محاولة واعية للتأثير في السلوك، ويرى "أوستين فريلي" الحجاج والإقناع جزأين من عملية واحدة ولا اختلاف بينهما إلا في التوكيد»[4].

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ص 104.
[2] – قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 30.
[3] – الجاحظ، البيان والتبيّن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003، ج1، ص 43.
[4] – محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، دط، 2014، ص 149.

فكل اتصال هدفه الإقناع ولا يكون الإقناع إلاّ بالحجج إذا فغاية الحجاج وهدفه هو الإقناع.

وغاية الخطاب القرآني هي «الخطاب الإقناعي، وذلك أن الخطاب القرآني هو في حميمه خطاب (حقيقة) يهدف إلى تمكين الحقائق التعليميّة التشريعيّة في نفوس المتلقيّن عن طريق التّأثير والإقناع، فغاية الخطاب القرآني كانت بقصد الإقناع والحصول على استجابة المتلقي دون عنف أو إكراه»[1]. من خلال ما سبق يهدف القرآن الكريم إلى إقناع المتلقين والتأثير فيهم دون إكراه.

فالخطاب الإقناعي أو الحجاجي هدفه مجابهة العقول والعمل على إقناعها فليس الحجاج في النهاية سوى «دراسة لطبيعة العقول ثمّ اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها ثمّ محاولة حيازة انسجامها والتحامها مع الطّرح المقدّم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية الاجتماعية في الحسبان فإن الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير»[2]. إن الإقناع يكون بأحسن الطرق وأفضلها لتؤثر في السامع.

ثالثا: دلالة الحجاج في القرآن الكريم وردت مادة "ح.ج.ج" في القرآن الكريم في العديد من المواضع غير أن مفهوم البعد الدلالي لمادة حجج دفعنا إلى عملية الفرز فوجدناها بدلالات عدة كما في الجدول التالي:

الآيـــــــــــــة	السورة	رقم الآية	الـــــــــــدلالة
﴿ليُحَاجُوكُم به عند رَبّكُمْ﴾	البقرة	76	أيْ ليخاصموكم
﴿قلْ أتحَاجُوننا في اللّه﴾	البقرة	139	أتناظروننا

[1] – لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، ص 103.

[2] – المرجع السابق، ص 106.

﴿لئلاَّ يكون للنّاس عليكم حجّة﴾	البقرة	150	المخاصمة
﴿ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربّه﴾	البقرة	258	خَاصم
﴿فإنْ حاجّوك فقل أسْلمتُ وجهي للّه﴾	آل عمران	20	أي خاصمك الكفّار
﴿فمنْ حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم﴾	آل عمران	61	جادلك
﴿يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم﴾	آل عمران	65	لم تجادلون
﴿هأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم﴾	آل عمران	66	جادلتم
﴿أو يُحاجُوكم عند ربّكم﴾	آل عمران	73	يجادلوكم
﴿لئلا يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل﴾	النساء	165	أي خصومة
﴿وحاجّه قومُهُ﴾	الأنعام	81	جادلوه
﴿قال أتحاجّوني﴾	الأنعام	81	أتجادلونني في دين الله
﴿وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾	الأنعام	83	خاصمهم وغلبهم بالحجّة
﴿قل فللّه الحجّة البالغة﴾	الأنعام	149	الحكمة التّامة
﴿وإذْ يتحاجّون في النّار﴾	غافر	47	إذ يختصمون
﴿لا حجّة بيننا وبينكم﴾	الشورى	15	لا خصومة بيننا وبينكم
﴿والذين يحاجون﴾	الشورى	16	يجادلون
﴿ما كان حجّتهم إلاّ أن قالوا﴾	الجاثية	25	ما كان ردّهم وسميت حجّة على سبيل التّهكم لتمسكهم برأيهم.

من خلال الآيات الكريمة نجد أنّ دلالة المصطلح تنحصر في المعاني التالية (التخاصم، النزاع، الجدل، التحاور، الخلاف) إلا أن مصطلح "الجدل" هو أكثرها مقاربة له سواء من حيث وروده أو من حيث دلالته.

المبحث الثالث: الآليات الحجاجية

للحجاج آليات يختص بها ، ونعرضها في هذا المبحث على التوالي :

أولا: الآليات اللغوية:

وتشمل هذه الأدوات مختلف الوسائل اللغوية التي بواسطتها نحتجّ بهدف التأثير والإقناع ومن هذه الأدوات:

1/ ألفاظ التعليل: تعتبر ألفاظ التّعليل من الآليات اللغوية التي «يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي، وبناء حججه فيه منها: المفعول لأجله، وكلمة السبب، لأنّ، إذ لا يستعمل المرسل أي أداة من هذه الأدوات إلاّ تبريرا أو تعليلا لفعله، بناء على ملفوظ به أو مفترض»[1].

2/-أسلوب الشرط: يحمل مفهوم الشرط علاقة تلازمية، فيرتبط حدوث جزء منه مقابل حدوث جزء آخر؛ أي «أن يتوقف الثاني على الأول، فإذا وقع الأول وقع الثاني وذلك نحو: إن زرتني أكرمتك فالإكرام متوقف على الزيارة، ونحو قوله تعالى: فإن قاتلوكم فاقتلوهم، البقرة 161»[2]

«وللشرط قيمة حجاجية وتداولية حيث إنّ الجزء الثاني من الشرط يحدد القيمة الخطابية التي يريد المخاطِب أن يوجهها إلى المخاطَب، فالشرط الحجاجي هو أسلوب تداولي يعمل على تحديد الإمكانات الممكنة داخل الخطاب من خلال الارتباط الشرطي تتحدد قيمته الحجاجية في أن الجزء الثاني منه يعمل على توجيه ذهن المخاطَب نحو وجهة محددة»3.

وأسلوب الشرط يتكون من أداة شرط وجملة الشرط وجملة جواب الشرط، وأهم أدواته هي (إنْ؛ مَنْ؛ لو؛ إذا؛ لولا...)

3/-الأفعال الكلامية: إنّ الأفعال اللغوية حسب رأي (فان ايميرين وجروتندروست..) «تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج بين طرفي الخطاب وتترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال، فالمرسل يستعمل أغلب أصناف الفعل التّقريري ليعبّر عن وجهة نظره وليحدّد

[1] – ابن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 478.

[2] – فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، ج4، 2003، ص45.

[3] – محمد فارح، الشرط وأثره الحجاجي مقاربة تداولية حجاجية "في مناظرة بين العلم والجهل"، مجلة (لغة –كلام)، مج 7،ع 1،2021، ص312.

موقعه من نقطة الخلاف، فما يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أو الادّعاء ولتدعيم وجهة نظره أو للتراجع عنها عند اقتناعه بأنها لم تعد صالحة، كما يعبّر بها عن تنازله عن دعواه وكذلك لتأسيس النتيجة»[1]، والأفعال اللغوية عند سيرل (Searle) أقسام هي:

أ- **الأفعال الالتزامية:** وهي الأفعال المستعملة في التعبير عن قبول وجهة النّظر أو الرغبة في الحجاج أو عدمه، كما تستعمل أيضا في دعم موقف المرسل الذي اتّخذه للتعبير عن الموافقة على مناصرة الدّعوى أو رفضها ومعاداتها واتخاذ القرار ببدء النّقاش مع الموافقة على ضوابطه.

ب- **الأفعال التّوجيهيّة:** حينما يستعمل المرسل الأفعال التوجيهية لا يستعمل جميع أصناف هذه الأفعال وذلك نظرا لطبيعتها التي لا تناسب ما تقتضيه طبيعة النقاش، لذلك يختصر المرسل على البعض منها: كأفعال التّحدي مثلا للدفاع عن وجهة النّظر أو طلب الحجاج[2].

ج-**الحجاج بالتبادل:** أي أنّ المرسل يحاول بهذه الآلية أن يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين، وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السّياقات كما يمكن أن تكون الحجج نقلا لوجهة النظر بين المرسل والمرسل إليه وذلك في مثل الخطابات التالية:

- ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة.
- عامِل النّاس كما تحبُّ أن يعاملوك.
- لا ترض لي إلاّ ما ترضاه لنفسك[3].

---

[1] – الشّهري نقلا عن: van ecmeren and rob grootendorst analyzing argumentative dixourse in frans h. robert trapp and janice sihuetz (ed)perspectives on argumentation p86-106.

[2] – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهري، المرجع السابق، ص 478.

[3] – المرجع نفسه، ص 484.

4/ الوصف: يشمل عددا من الأدوات اللغوية منها:

أ- **الصّفة:** تعدّ الصفة من الأدوات اللغوية التي تمثّل «حجة المرسل في خطابه وذلك لإطلاقه لنعت معيّن في سبيل إقناع المرسل إليه»[1].

ب- **اسم الفاعل:** اسم الفاعل هو اسم مشتق يدّلُ على معنى مجرّد حادث وعلى فاعله، فلا بدّ أن يشتمل على أمرين معا هما المعنى المجرد الحادث وفاعله، ودلالة اسم الفاعل على المعنى المجرّد الحادث أغلبية لأنه قدْ يدلُّ قليلا على المعنى الدائم أو شبه الدّائم ودلالته على ذلك المعنى للمجرّد مطلقه، أي لا يفيد النّص على أنّ المعنى قليل أو كثير، فصيغته الأساسية محتملة لكل واحد منهما[2].

ويعتبر اسم الفاعل من نماذج الوصف الذي يدرجها المرسل في خطابه بوصفها حجّة ليصوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد، لتُبنى عليه النتيجة التي يرومها. أي أن المتكلم يُدْرج في خطابه اسم الفاعل من أجل إدراج الحجج القوية التي منها يتوصل إلى النتيجة المراد تحقيقها.

ج-اسم المفعول: يعتبر اسم المفعول من الأوصاف الحجاجية وهو «اسم مشتق يدل على معنى مجرّد غير دائم، ويدل أيضا على الذي يقع عليه المعنى، فلا بدّ أن يدل على الأمرين معا مثل: أنا مظلوم أنصفوني»[3].

د-تحصيل الحاصل: هناك من يعدّ الخطابات مجرد «حشو أو تحصيل حاصل لا تقدّم شيئا في الخطاب والحق أن كل جزء من الخطاب يضطلع بدلالته الحجاجية»[4].

---

[1] - ينظر: المرجع نفسه، ص 488.

[2] - عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف بمصر، ط4، ج3، ص 239.

[3] - الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 489.

[4] - المرجع نفسه، ص 489.

ثانيا: الآليات البلاغية:

يوظف المرسل الآليات والأساليب البلاغية لأنّ لها دورا في تقوية الحجج وزيادة درجة الشّحن بهدف التأثير والإقناع، من بين هذه الآليات البلاغية التي تساهم في إقناع المتلقّي نذكر:

1/ **تقسيم الكل إلى أجزاء:** قد يذكر المرسل «حجّته كليًّا في أول الأمر، ثمّ يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها إن كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه»[1].

2/ **الاستعارة:** «لقد حظيت الاستعارة بالمكانة البارزة في درج الدراسات البلاغية القديمة والحديثة، وذلك بالنظر إلى قدرتها التعبيرية والجمالية في أداء المعنى وصنع المفارقة المدهشة لدى السامع أو المتلقي بحيث تعمل على شدّه إلى عجيب الاستدعاء، وطرافة التأليف، يقول أبو هلال العسكري (395 هـ) في تعريفها[2]»: «الاستعارة نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيرها لغرض، وذلك الغرض إمّا أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده أو المبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل أو تحسين الذي يبرز فيه...»[3].

والاستعارة تستعمل كوسيلة إقناعية هي تلك الاستعارة الحجاجية وتعرّف بكونها: «تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي»[4].

ومن أمثلة الاستعارة الحجاجية قول أبو ذؤيب الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيتَ كلّ تميمة لا تنفعُ[1].

---

[1] – المرجع نفسه، ص 494.

[2] – لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، مطبعة الرمال، ولاية الوادي، الجزائر، دط، 2020، ص 90.

[3] – أبو هلال العسكري، كتاب الصّناعتين، الكتابة والشعر، تح: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 1986، ص 268.

[4] – عمر أوكان، اللغة والخطاب، رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص 219.

3/ **التّمثيل:** «هو حاصل اقتران صورتين جمعتا على صعيد واحد في مقاربة تشبيهية متعددة الأوجه المشابهية، ويعدّ التمثيل من أهم الوسائل الحجاجية التي يستخدمها الخطيب لقصود تأثيرية وإقناعية لما يحمله التمثيل من إشارة بليغة إلى المعنى الذي يريد الخطيب إيصاله بالشكل الذي اختاره»[2].

ومن أمثلته قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَولِيَاءَ كَمَثَلِ العَنكَبُوتِ اتَّخَذَت بَيتاً وَإِنَّ أَوهَنَ البُيُوتِ لَبَيتُ العَنكَبُوتِ لَو كَانُوا يَعلَمُونَ﴾ العنكبوت 41.

4/ **الكناية: وتعرف** بـــ: «لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى»[3].

ومن أمثلتها قول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

طويل النّجاد رفيع العماد سَاد عشيرته أمْرَدَا[4]

فهي تريد أن تدلّ بهذه التراكيب على أنه شجاع عظيم في قومه، سيد عليهم فعدلت عن التصريح بهذه الصفات إلى الإشارة إليها والكناية عنها.

5-المحسنات البديعية:

«إن المحسنات البديعية ليست زخرفة للفظ أو المعنى فحسب بل إنها مكون من مكونات الخطاب الحجاجي، إذا وظفت فيه، فلا يكون الخطاب إقناعيّا والمحسنات الواردة فيه لمحض الزينة والزخرفة، وإنما تكون محسنات حجاجية وُظفت لزيادة الاقناع والاذعان»[5].

---

[1] – ديوان الهذليين، تح: أحمد الزّين، أبو الوفاء، دار الكتب، القاهرة، مصر، دط ، 1965.

[2] – لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي والخطاب، ص 95-96.

[3] – عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط[1]، 1985، ص 203.

[4] – الخنساء، ديوان الخنساء، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط[2]، 2004، ص 31.

[5] – لزهر كرشو، المرجع السابق، ص 98.

ويعرفها الشهري بقوله: «صور البديع باختلاف أشكالها، لها دور حجاجي لا على سبيل زخرفة الخطاب ولكن بهدف الاقناع والبلوغ بالأثر مبلغه حتى لو اعتقد الناس غير ذلك»[1].

وتنقسم المحسنات إلى نوعين:

أ/ **المحسنات المعنوية:** أبرزها الطباق والمقابلة والتورية، «وتنضوي هذه المحسنات داخل الخطاب الحجاجي إذا كانت في معرض حواري مقنع ذي تأثير قابل للرّد والدّحض»[2].

ب/ **المحسنات اللفظية:** ومن أهم المحسنات اللفظية الجناس والسّجع، «وتنضوي هذه المحسنات داخل الخطاب الحجاجي إذ اكانت في معرض حواري مقنع ذي تأثير قابل للرّد والدّحض»[3].

ومن أمثلة السجع وهو توافق آخر الفواصل في الحرف الأخير. ومثال على ذلك قول أعرابي دخل هشام بن عبد الملك مستطعما إياه: «يا أمير المؤمنين أتت علينا ثلاثة أعوام: عام أذاب الشحم، وعام أكل اللحم، وعام انتقى العظم، وعندكم أموال، فإن تكن لله فبثوها في عباد الله، وإن تكن للناس فلم تحجب عنهم؟ وإن تكن لكم فتصدّقوا، إن الله يجزي المتصدقين...»[4].

ثالثا: الآليات شبه المنطقية.

يجسدها السلم الحجاجي (Echelle argumentative) بأدواته وآلياته اللغوية.

1-تعريفه:

هو مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة ترتيبية وموفيه بالشرطين التاليين:

[1] – الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص494.

[2] – المرجع السابق، ص 98-99.

[3] – المرجع نفسه، ص100.

[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار لكتب العالمية، بيروت – لبنان، ط1، 1983، ص 16-17.

أ-«كل قول يرد في مرتبة ما من السلّم يلزم عندما يقع تحته بحيث تلزم عند القول الموجود في الطرف الأعلى على جميع الأقوال التي دونه»[1].

ب-«كل قول كان في السّلم دليل على مدلول معين كل ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه»[2].

نقول بأن «ملفوظين ب و بَ ينتميان إلى نفس القيمة الحجاجية المحددة بملفوظ أ. في هذه لحالة نقول بأن الحجتين (ب و بَ) تنتميان إلى نفس السلّم الحجاجي»[3].

فالسلم الحجاجي هو «علاقة ترتيبية للحجج، فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معيّنة فإن هذه الحجج تنتمي إلى نفس السلم الحجاجي»[4].

ويتميز السلم الحجاجي بأنه «إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها والعكس غير صحيح[5]» مثل:

الحجة الرابعة: حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

الحجة الثالثة: حصل زيد على شهادة الماجستير.

الحجة الثانية: حصل زيد على شهادة الليسانس.

الحجة الأولى: حصل زيد على شهادة الثانوية.

فالنتيجة كفاءة زيد العلمية[6].

وبكننا تمثيل ما سبق على النحو الآتي:

---

[1] – الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص477.

[2] – طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص 277.

[3] – عمران قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، نقلا عن:

Une échelle argumentative est donc une classe argumentative orientéel bid

[4] –عمران قدورة، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص33.

[5] – حمو النقاري، الحجاج طبيعته ومجالاته ووظائفه وضوابطه، النجاح الجديد، الدار البيضاء، ط[1]، 1427هـ/2006م، ص59.

[6] – المرجع نفسه، ص 59.

ن: **كفاءة زيد العلمية**

(د) – حصل زيد على شهادة الدكتوراه

(ج) – حصل زيد على شهادة الماجستير

(ب) – حصل زيد على شهادة الليسانس

(أ) – حصل زيد على شهادة الثانوية

2–قوانين **السلم الحجاجي**:

تنقسم إلى ثلاثة قوانين أهمها:

1. قانون الخفض.
2. قانون تبديل السلم.
3. قانون القلب[1].

3–وسائل **السلم الحجاجي**: وهي كالآتي:

– الأدوات اللغوية: كالروابط الحجاجية مثل: (بل؛ لكن؛ حتى؛ فضلا عن) والسمات الدلالية ودرجات التوكيد.

– الصيغ الصرفية: مثل: (أفعال التفضيل؛ صيغ المبالغة).

– المفهوم: الموافقة والمخالفة.

حجة الدليل[2].

[1] – ينظر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص500.

[2] – المرجع نفسه، ص508.

الفصل الثانـي

المبحث الأول: التعريف بسورة الكهف.

أولا: سبب التسمية:

في البداية يجب علينا الوقوف على اسم السورة الكريمة لأنه يحمل الكثير، فكل كتاب دليله عنوانه. وما وضع للسورة هذا العنوان إلا لارتباط اسم السورة بها، فقد ورد لسورة الكهف اسمين فقط هما:

أ-سورة الكهف:

«وقد وردت هذه التسمية للسورة في كلام النبيﷺ في أحاديث عدة منها: عن أبي الدرداءرضي الله عنه أن النبيﷺ قال: من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عُصم من الدجال. (صحيح مسلم). كما وردت هذه التسمية عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم كابن مسعود والبراء بن عازب الذي قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين، فغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وحبل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبيﷺ فذكر ذلك له فقال: تلك السكينة نزلت بالقرآن (صحيح مسلم)»[1].

ب-سورة أصحاب الكهف:

وقد ذكرت هذه التسمية في "مصحف نسخ في القرن الحادي عشر الهجري في بلاد اليمن" بلفظ "سورة أصحاب الكهف"[2]. كما وردت هذه التسمية في أحاديث كثيرة وردت عن الرسولﷺ منها: حديث فتنة الدجّال، وهو حديث طويل: " فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة أصحاب الكهف..." أخرجه الترمذي في الجامع الصّحيح.

ولكن المشهور من هذين الاسمين هو الأول "سورة الكهف". وقيل سميت هذه السورة بهذا الاسم "لتضمنها المعجزة الربانية في قصة أصحاب الكهف التي ذكرتها السورة بتفاصيلها وهي دليل حاسم ملموس على قدرة الله الباهرة"[3].

---

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 241.

[2] – معروف سعاد، القيم التربوية في قصص سورة الكهف، دراسة تحليلية مقاصدية، قسم العلوم الإنسانية شعبة العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 2014/2013، ص17.

[3] – المرجع نفسه، ص17.

ثانيا: سبب نزول السورة:

«يرجع سبب نزول السورة الكريمة – حسب أغلب المفسرين–إلى أن المشركين لمّا أهمهم أمر الرسولﷺ وازدياد المسلمين معه، وكثر تساؤل الوافدين إلى مكة من قبائل العرب عن أمر دعوته بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة يسألونهم رأيهم عن دعوته وهم يطمعون أن يجد لهم الأحبار ما لم تهتدوا إليه مما يوجهون به تكذيبهم إياه، فإن اليهود أهل الكتاب الأول وعندهم من علم الأنبياء ما ليس عند المشركين في قريش.

فقدم النضر وعقبة إلى المدينة ووصفا لليهود دعوة الرسولﷺ، وأخبارهم ببعض قوله، فقال لهما أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي وإن لم يفعل فالرجل متقوّل.

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه عن الروح ماهي؟

فرجع النضر وعقبة فأخبرا قريش بما قاله لهما أحبار اليهود، فجاء جمع المشركين إلى رسول اللهﷺ فسألوه في هذه الثلاث. فقال لهم النبيﷺ: أجيبكم بما سألتم عنه –غدًا–وهو ينتظر وقت نزول الوحي عليه بحسب عادة يعلمها، ولم يقلْ إن شاء الله.

فمكث الرسولﷺ ثلاثة أيام لم يوحى إليه وقيل خمسة عشر يوما فأرجف أهل المدينة وقالوا: وعدنا محمد غدا، وقد أصبحنا اليوم عدة أيام لا يخبرنا بشيء مما سألناه عليه حتى أحزن ذلك النبيﷺ وشق عليه، ثم جاءه جبريل عليه السلام بسورة الكهف. وفيها جوابهم عن الفتية وهم أهل الكهف، وعن الرجل الطوّاف وهو ذو القرنين، وأنزل فيما سألوه في أمر الروح: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ الإسراء 85»[1].

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص242–243.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه السورة مكية، ونظرا للصعاب التي واجهت النبيﷺ وأصحابه الكرام، فقد جاءت سورة الكهف تسلية وتثبيتا لقلبهﷺ.

أما زمن نزولها «فقد كان بعد سورة الغاشية، وقبل سورة الشورى زهي الثامنة والستون في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد، في حين حدث اختلاف بعض القراء في تقسيم الآيات، إذ عدّت آياتها في عدد قرّاء المدينة ومكة مائة وخمسا، وفي عدّ قرّاء الشام مائة وستا، وفي عدّ قراء البصرة مائة وإحدى عشرة، وفي عدّ قراء الكوفة مائة وعشرا»[1].

وهي السورة الثامنة عشر في المصحف.

ثالثا :مواضيع سورة الكهف*:

الموضوع	الآيات	
	من	إلى
آيات الحمد لله والثناء عليه.	01	08
قصة أصحاب الكهف.	09	26
توجيهات ونصائح للرسولﷺومن اتبعه.	27	31
قصة صاحب الجنتين.	32	44
مثل الحياة الدنيا وعظمة الخالق، وتصوير بعض مشاهد يوم الحساب.	45	49
قصة إبليس مع سيدنا آدم –عليه السلام–وعاقبة المستهزئين المشركين بدين الله.	50	59
قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح.	60	82
قصة الرجل الطواف (ذو القرنين).	83	98
عاقبة الكفار والمشركين.	99	106
تبشير المؤمنين بالخلود في الجنة، وسعة علم الله عزّ وجل.	107	110

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص242.

* – المرجع نفسه، ص 245– 246.

المبحث الثاني: الآليات الحجاجية في سورة الكهف.

أولا: الآليات اللغوية:

1-روابط **التّعليل:**

*لام التعليل: وهي أهم الروابط، وتتصل بالفعل المضارع المنصوب، وقد وردت في سورة الكهف في مواضع عديدة يبينها الجدول التالي:

رقمها	الآية
4-1	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (1)قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا(2) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
7	إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
12	﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾
19	﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾
21	﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾
55	﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾
70	﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾

فلام التعليل في المواضع الأولى من سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا(3)مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا(4) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ الآية 2-4، جاءت لتدلّ على أن «الله سبحانه وتعالى أنزل الكتاب الذي لا اعوجاج فيه، ومن خلاله لينذر من خالفه وكذّبه ولم يؤمن به أن لهم عقوبة في الدنيا والآخرة، وبشر الذين عملوا الصالحات أن لهم أجرا عظيما وأن الجنة هي مأواهم، ولينذر المشركين العرب الذين قالوا نحن نعبد الملائكة»[1].

فلام التعليل هنا هي الحجة السبب، والغرض منها الإنذار والتوجيه، والحث على توحيد الله عزّ وجلّ.

أما في قوله تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الكهف7، «فقد جعل الله ما في الأرض من زينة كالنبات والأشجار والأنهار حجة ليبلوَ بها، أي يختبر من أحسن عملا في الدنيا»[2]، والغرض من هذا التوجيه الحجاجي هو الحثّ والتشجيع على العمل الصّالح في الدنيا.

وقد وردت لام التعليل في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ الكهف 12 والتي بينت أنّ بعث الفتية وإحيائهم حجة وبرهان فاصل لجدال الخصمين في عدد السنين التي لبثها الفتية في الكهف. والغرض من هذا التوجيه الحجاجي هو الإخبار.

أما في قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ الكهف 19. فقد

[1] – إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، دط، مج3، ص84.

[2] – المرجع السابق، ص85.

بعث الله الفتية صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبصارهم، وذلك بعد ثلاث مائة وتسع سنين، ولهذا السبب تساءلوا بينهم لمعرفة مدة نومهم.

وفي موضع آخر قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾ لكهف 21. أي بيناهم للناس، فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة على من قالوا أنّ الأرواح والأجساد لن تُبعث، وهذا هو الغرض من التوجيه الحجاجي.

2-التراكيب الشرطية:

ورد أسلوب الشرط في سورة الكهف في تسعة وثلاثين موضعا تتقاسمها سبع أدوات شرطية هي (إنْ؛ منْ؛ إذا؛ لو؛ لما؛ أما؛ إذما). والجدول التالي يوضح الآليات الواردة في أسلوب الشرط.

أداة الشرط	الآيات	رقمها
إنْ	إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ	20
	وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ	29
	وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا	56
	إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا(39) فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ	38-39
	قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا	69
	قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا	75
	فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا	06
	وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا	35
	قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا	68
لمَّا	وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ	58
	فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا	60
	فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا	61

أمَّا	أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ	78
	وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ	79
	وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ	81
	أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا	85
	وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءَ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ	86
مَنْ	مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ	17
	وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا	17
	فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ	29
	فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا	105
إذَا	فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ	70
	حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ	73
	فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ	76
	حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ	83
	حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا	87
	حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ	92
	حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا	92
	قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ	94
لو	لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا	18
	وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ	57
	قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا	76
	قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا	104

من خلال إحصائنا لأسلوب الشرط نلاحظ:

أ-العامل الحجاجي "إن": وردت "إِنْ" أكثر من غيرها حتى عدّها الدارسون أصل أدوات الشرط، فقال ابن القواس في (شرح الدرة) «إنما كانت "إنْ" أصل أدوات الشرط لأنها حرف واصل المعاني للحرف، ولأن الشرط بها يعمُّ ما كان معينا زمانًا أو مكانًا. ومن ثمّ اختصت بأمور منها: جواز حذف الفعلين بعدها»[1] ومن أمثلة الآيات: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ﴾الكهف 29. وفي «هذه الآية أن أهل النار إذا جاعوا استغاثوا، فأغيثوا بماء كالمهل وهو الذي قد انتهى حره فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود»[2]. فالبنية الحجاجية للآية يلخصها الشكل: 01.

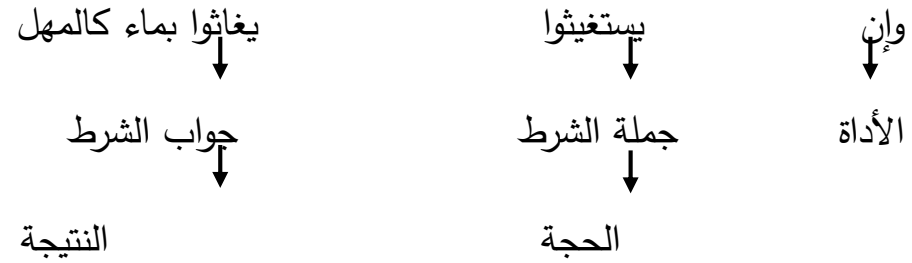

والتوجيه الحجاجي هنا هو التحذير من الكفر لأن عواقبه يوم القيامة وخيمة كما وصفها الله تعالى في الآية الكريمة.

ومن أمثلة الآيات الواردة فيها أداة الشرط "إنْ" قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ الكهف70. «أي أن نبي الله موسى عليه السلام أراد مصاحبة الرجل الصالح (الخضر) فقال: إنك لن تطيق صحبتي، قال: بلى، قال:

[1] – جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ج3، ط1، 1985، ص249.

[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص96.

فإن صحبتني فلا تسألني عن شيء»[1]. فالشرط هنا في هذه الآية حجاج، نتيجته عدم العجلة والتحلي بالصبر، والتوجيه الحجاجي هنا الدعوة إلى الصبر.

ب-العامل الحجاجي "مَنْ":

تأتي مَنْ للعاقل، وهي أداة شرط جازمة وتأتي كما في أدوات الشرط (جملة الشرط وجملة جواب الشرط).

وقد وردت في مواضيع كثيرة في السورة كما وضحنا سابقا ومثال قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ الكهف 105، فقد اشترط عزّ وجلّ للقائه وهو الجزاء الأعظم العمل الصالح الخالص لله الذي لا رياء فيه ولا سمعة. فالتوجيه الحجاجي هو الدعوة إلى العمل الصالح الخالص لله عز وجل.

ج-العامل الحجاجي: "إذَا" حيث ورد عشر مرات، «وهو ظرف لما يستقبل من الزمان مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية مضاف إلى جملة الشرط»[2] قال تعالى:﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ الكهف 24. أي يا محمد اذكر ربك فإن ذكر الله يطرد الشيطان، فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان.

فالتوجيه الحجاجي هنا هو الدعوة إلى ذكر الله عز وجل عند النسيان.

وبناء على ما سبق فأسلوب الشرط يعتبر عاملا تداوليا وذلك لما يمتلكه من قيمة حجاجية كبيرة، ويحفز ذهن المخاطب وذلك عن طريق العلاقة القائمة بين جزأيه.

---

[1] – المرجع السابق، ص113.

[2] – ابن هشام، شرح جمل الزجاجي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، دط، ج4، 2004، ص197.

3-أفعال الكلام:

تعد أفعال الكلام آلية من آليات الحجاج وهنا سنقوم باستخراج أهم الأفعال الكلامية من السورة الكريمة.

الفعل الكلامي	الآية	صنف أفعال الكلام	الغرض الإنجازي
- ينذر - يبشر	2	الإخباريات	- تهديد بالعذاب وسوء الخاتمة - وعد وتبشير بالجنة
- وينذر	4	الإخباريات	- إنذار وتحذير من سوء العاقبة
- كبرت - تخرج - يقولون	5	الإخباريات	- إنكار وتوبيخ تقوّلهم على الله الأباطيل
- لعلك باخع - لم يؤمنوا	6	الإخباريات	- إشفاق على حال الرسول
- إن جعلنا - لنبلوهم - إن لجاعلون	7 8	الإخباريات	- تهديد وتوعد المشركين بالهلاك
- أم حسبت	9	التوجيهيات	- الإنكار والتعجّب
- آتنا - هيئ	10	التوجيهيات	- الدعاء والتضرع لله
- ضربنا - نقص - ربطنا - قاموا	14،13،11	الإخباريات	- التقرير لأحداث القصة
- لن ندعو	14	الالتزاميات	- تعهد والتزام
- اتخذوا - لولا يأتون	15	الإخباريات التعبيريات	- إنكار وتوبيخ لكفرهم - تعجيز المشركين

– فمن أظلم		التوجيهيات	– إنكار وتوبيخ
– فأووا	16	التوجيهيات	– نصح وإرشاد
– تزّاور – تقضهم	17	الإخباريات	– الوصف
– تحسبهم – نقلبهم	18	الإخباريات	– وصف بغرض التعجب لجالهم وهم نيام في الكهف
– ابعثوا – وليتلطف – لا يشعرنّ	19	التوجيهيات	– التماس – تحذير – تحذير
– يرجموكم – يعيدوكم – لن تفلحوا	20	الإخباريات الإخباريات الإخباريات	– تحذير
– ابنوا	21	التوجيهيات	– إصدار قرار
– سيقولون – قل – فلا تمار –لا تستفت	22	الإخباريات التوجيهيات	– وصف وتقرير – نصح وإرشاد وتوجيه – نهي ونصح وإرشاد – نهي ووعظ وإرشاد
–لا تقولن	23	التوجيهيات	– الوعظ والإرشاد
– واذكر – أن يهديني	24	التوجيهيات التعبيريات	– وعظ وإرشاد – ترجي
– قل – أبصرْ – أسمعْ – لا يشرك	26	التوجيهيات الإخباريات	– ووعظ وإرشاد – تقرير
– واتل	27	التوجيهيات	– نصح وإرشاد
– اصبر	28	التوجيهيات	– نصح وإرشاد

– لا تعد – لا تطع			
– فليؤمن – فليكفر	29	التوجيهيات	– التهديد والوعيد
– لا نضيع	30	الإخباريات	– التبشير
– يحلون – يلبسون	31	الوعظيات	– الترغيب والوعد
– اضربْ	32	التوجيهيات	– التنبيه والتذكير
– أنا أكثرُ	34	الإخباريات	– افتخار صاحب الجنتين وتكبره
– رددت	36	الإخباريات	– التأكيد
– أكفرت	37	التوجيهيات	– الإنكار والتعجب
– إذ دخلت	39	الإخباريات	– التوبيخ
– أن يؤتيني	40	الإخباريات	– الدعاء والتضرع لله
– لم أشرك		الإخباريات	– التحسر والندم
– أن يؤتيني	45	التوجيهيات	– التحذير
– نسير – نغادر	47	الإخباريات	– التهويل والتهديد والوعد والوعيد
– اسجدوا – أفتتخذونه	50	التوجيهيات الإخباريات	– الانكار والتوبيخ – التعجب
– ما أشهدتهم – ما كنت	51	الإخباريات	– تقرير الحقائق
– يقول – لم يستحيوا – جعلنا	52	الإخباريات	– التوبيخ – الانكار – الترهيب
– ما منع	55	الإخباريات	– التهديد والتحذير
– من أظلم	57	التوجيهيات	– الانكار والتوبيخ

– لو يؤاخذهم – لعجّل	58	الإخباريات	– تهديد ووعيد
– أبلغ – أمضي	60	الإخباريات	– تقرير الحقائق
– أريت	63	التوجيهيات	– التذكير والتعجب
– هل أتبعك – لن تستطيع	66 67	الإخباريات الإخباريات	– الالتماس – التحذير
– كيف تصبر	68	الإخباريات	– التعجب والإنكار
– ستجدني	69	التعبيريات	– الوعد
– لا تسألني	70	التوجيهيات	– النصح والإرشاد
– أخرقتها	71	الإخباريات	– اللوم والإنكار والتعجب
– ألم أقلْ	72	الإخباريات	– لوم وعتاب لعدم الوفاء بالوعد
– لا تؤاخذني – لا ترهقني	73	التوجيهيات	– التعاطف والتماس العفو
– أقتلته	74	الإخباريات	– التعجّب
– قلْ	83	التوجيهيات	– تقرير ووصف
– فهل نجعلْ	94	الإخباريات	– العرض
– أعينوني	95	التوجيهيات	– الالتماس وطلب المساعدة
– آتوني – انفخوا	96	التوجيهيات	– الالتماس وطلب المساعدة
– تركنا – جمعناهم	99	الإخباريات	– التهويل والترهيب
– عرضنا	100	الإخباريات	– التمويل
– أفحسب	102	التوجيهيات	– الانكار والتوبيخ والوعد والوعيد
– هل ننبئكم	103	الإخباريات	– التهكم والسخرية
– آمنوا	107	الإخباريات	– وعد المؤمنين بالخلود في الجنة

– عملوا			
– قلْ	109	التوجيهيات	– التأكيد والتبليغ
– فليعمل –لا يشرك	110	التوجيهيات	– التحذير من ارتكاب المعاصي – التحذير من الشرك

من خلال الجدول يتبين أن:

• الآيات الأولى (من2إلى8) أن السورة ابتدأت بمجموعة من الأفعال الكلامية من صنف الإخباريات ووردت في سياق خبري لأن الخطاب القرآني جعل من الخبر وسيلة لنقل الأخبار ووصف نعم وفضل الله على عباده إذ أخرجهم من الظلمات إلى النور بتنزيله للقرآن الكريم معجزة الله الخالدة ويبرزها في قوله تعالى:﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾الكهف 2. فالفعل الكلامي ينذر ينتمي إلى صنف الإخباريات حيث أن الله عز وجل بوجه كلامه إلى الرسولﷺ بوصفه وسيلة ينقل من خلالها تهديده وتوبيخه للمشركين وأهل الكتاب من اليهود، ومطمئنا في الوقت نفسه الذين آمنوا أن لهم أجرا عظيما والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو التحذير من الشرك والدعة إلى العمل الصالح. وفي قوله:﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾الكهف 4. ففي هذه الآية ينذر الله سبحانه وتعالى المتقولين على الله الذين نسبوا إليه الولد بالعذاب الأليم، فالتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو التحذير من الشرك.

في قوله تعالى:﴿ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾الكهف 5. ففي هذه الآية نجد أفعالا كلامية (كبرت – تخرج –يقولون) توضح كذب وافتراء الكفار على الله، وهذا حجاج، والتوجيه الحجاجي له هو التحذير والوعيد بالهلاك.

وفي قوله تعالى:﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ الكهف6. ففي هذه الآية فعل كلامي (لم يؤمنوا) وهو من صنف الإخباريات غرضه إنكار الله عزّ وجل هذا الحزن وهذا الغضب الذي شعر به رسوله الكريم وتحذيره من الغم الذي أصابه نظرا لعدم استجابة الكفار لدعوته، وهو حجاج، والتوجيه الحجاجي له النهي عن الحزن.

وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾الكهف 7-8. أفعال كلامية وهي: (إنا جعلنا-لنبلوهم) وهي من صنف الإخباريات، وهذا حجاج نتيجته تهديد المشركين وتوعدهم بالهلاك وإظهار قدرته عزّ وجلّ على تخريب ما على الأرض من زينة، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو: الدعوة إلى العمل الصالح[1].

• وفي الآيات من (9 إلى 26) تبين لنا أن صنف الأفعال الكلامية التي غلبت هي الإخباريات والتوجيهيات وهي إخبار من الله تعالى في قصة أصحاب الكهف على سبيل الإجمال والاختصار، ثم بسطها بعد ذلك فقال: «أم حسبت أن أصحاب الكهف...» هنا إخبار من الله عزّ وجل لنبيهﷺ جاء بصيغة الاستفهام، وغرضه الإنكار والتعجب، والفعل الكلامي هنا حجاج، والتوجيه الحجاجي له هو التأكيد على قدرة الله تعالى.

وفي قوله تعالى:﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾الكهف 10.ففي هذه الآية فعلان كلاميان (آتنا-هيء) من صنف التوجيهيات والغرض منها هو الدعاء والتضرع لله والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو طلب الدعاء والتضرع لله.

وفي قوله تعالى:﴿ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾الكهف 15.ففي هذه الآيات أفعال كلامية منها: (اتخذوا) «هو خبر مستعمل في الإنكار عليهم دون الإخبار إذ اتخاذهم آلهة من دون الله معلوم بين المتخاطبين»[2]وهو من صنف الإخباريات، وغرضه الإنكار والتوبيخ، وهو حجاج نتيجته إنكار الفتية لكفر قومهم وتوبيخهم على شركهم بخالقهم الواحد الأحد، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو التحذير من الشرك بالله وتوحيد الله عزّ وجل.

[1] – ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 249 إلى 255.

[2] – المرجع نفسه، ص 274.

وفي قوله تعالى:﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾الكهف 16. فعل كلامي (آووا)، وهو من صنف التوجيهيات، غرضه نصح الفتية وإرشادهم إلى الكهف ليحتموا فيه حفاظا على أنفسهم وعلى عقيدتهم، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو الدعوة إلى الحفاظ على الدين.

وفي قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف. 19ففي هذه الآية أفعال كلامية منها: (فابعثوا) وهو فعل كلامي من صنف التوجيهيات، وغرضه تحذير الشخص المكلف بمهمة شراء الطعام من أن يكشف أمره، وهو حجاج والتوجيه الحجاجي له هو التنبيه.

وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ سورة الكهف20. ففي هذه الآية أفعال كلامية منها: (يرجموكم–يعيدوكم–لن تفلحوا)، وهي من صنف الإخباريات، وهو حجاج، نتيجته التحذير، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو الدعوة إلى الحذر وأخذ الحيطة.

وفي قوله تعالى:﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾سورة24. ففي الآية الكريمة فعل كلامي (واذكر) وهو من صنف التوجيهات، جاء بصيغة الأمر، غرضه الوعظ والإرشاد، وهو حجاج نتيجته ذكر الله سبحانه وتعالى. والتوجيه الحجاجي له هو الدعوة إلى ذكر الله دائما.

- وفي الآيات (من 27 إلى 31) من السورة الكريمة يأمر الله سبحانه وتعالى سيد الخلق بتلاوة ما أوحاه إليه من آيات الذكر الحكيم، لأن هذه الآيات غير قابلة للتبديل ثم يخبره أنه لن يجد غير خالقه بنجيه من العذاب يوم القيامة، كما يأمره بمجالسة الفقراء

والضعفاء من المسلمين، وختم الله سبحانه وتعالى الآيات بتوعد الكافرين المشركين بالعذاب الأليم وبتبشير المؤمنين بجنات النعيم. وفي هذه الآيات أفعال كلامية منها:

في قوله تعالى:﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ الكهف 27. فالفعل الكلامي (واتل) هو من صنف التوجيهات، جاء وغرضه النصح والإرشاد بصيغة الأمر، وغرضه النصح والإرشاد، وهو حجاج نتيجته التأكيد على ضرورة تلاوة القرآن واتباع ما جاء فيه من أمر ونهي.

ومن أمثلة الأفعال الكلامية في قوله تعالى ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف 28 فالفعل الكلامي (واصبر نفسك) «أي احبسها معهم حبس ملازمة، والصبر: الشدّ بالمكان بحيث لا يفارقه»[1] وهو من صنف التوجيهيات جاء بصيغة الأمر وهو حجاج نتيجته النصح والإرشاد، والتوجيه الحجاجي له هو الدعوة إلى الصبر والتحمل، والفعل الكلامي (لا تعد عيناك) «أي نهي العينين عن أن تعدو عن الذين يدعون ربهم ، أي أن تجاوزاهم أي تبعدا عنهم. والمقصود الإعراض»[2] وهو من صنف التوجيهيات جاء بصيغة النهي ، وهذا حجاج نتيجته النهي عن اتباع من يريد زينة الحياة الدنيا، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو التحذير من الشرك بالله وعدم الاعتزاز بالدنيا وزينتها.

وفي قوله تعالى:﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف 29. فالأفعال الكلامية (فليؤمن، فليكفر) وهي من صنف التوجيهيات جاءت بصيغة الأمر، وغرضه هو التهديد والوعيد وهذا حجاج نتيجته توعد الله

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 305.

[2] – المرجع نفسه، ص 305.

المشركين الغافلين عن ذكر الله بالعذاب الأليم، والتوجيه الحجاجي له هو التحذير من الشرك.

وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف 30-31. أفعال كلامية (لا نضيع، يحلون، يلبسون) وهي من صنف الإخباريات وغرضها التبشير بالجنة، وهذا حجاج نتيجته وصف الجنة ووعد المؤمنين بها، والتوجيه الحجاجي له هو الدعوة إلى الإيمان بالله والعمل الصالح.

- وفي الآيات من (32-44) أفعال كلامية منها:

في قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ الكهف 32، ففي هذه الآية فعل كلامي (واضرب) وهومن صنف التوجيهيات جاء بصيغة الأمر، وغرضه تقرير وسرد الحقائق، وهو حجاج، نتيجته عدم الشرك بالله، وقدرته على إعادة البعث من الموت، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو التأكيد على قدرة الله على البعث بعد الموت.

وفي قوله تعالى:﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾الكهف 37-38. ففي هاتين الآيتين فعل كلامي (أكفرت) «هو مستعمل في التعجب والإنكار، وليس حقيقته، لأن الصاحب مشرك فالمراد بالكفر هنا الإشراك الذي من جملة معتقداته إنكار البعث»[1] وهو من صنف الإخباريات جاء بصيغة الاستفهام، وغرضه التعجب، وهو حجاج، نتيجته التأكيد على عدم الكفر، والتوجيه الحجاجي له هو التحذير من الكفر بالله سبحانه وتعالى.

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 322.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ الكهف 42-44. ففي هاتين الآيتين فعل كلامي (يا ليتني؛ لم أشرك) وهو من صنف الإخباريات، وغرضه التحسر والندم، وهو حجاج، نتيجته التأكيد على أن الله سبحانه وتعالى قادر على البعث، وعلى عقاب من يغتر بما يملك، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو التحذير من التكبر، والدعوة للإيمان باليوم الآخر.

- وفي الآيات من (45 إلى49) أفعال كلامية منها:

في قوله تعالى﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ الكهف 45، ففي هذه الآية فعل كلامي (واضرب) وهو من صنف التوجيهيات، جاء بصيغة الأمر، وغرضه التهديد والوعيد، وهو حجاج، نتيجته النهي عن الجري وراء ملذات الدنيا، وترك الأعمال الصالحة، والتوجيه الحجاجي له هو الدعوة إلى العمل الصالح والتحذير من الافتخار والتكبر.

وفي قوله تعالى﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾، الكهف (46 إلى 48) ففي هذه الآيات أفعال كلامية منها(نسيّر – نغادر)وهي من صنف الإخباريات وغرضها التّهويل والتهديد والوعد والوعيد، وهذا حجاج، نتيجته التأكيد على أهوال يوم القيامة، وتوّعد الله المشركين المكذبين بيوم البعث بالعقاب الشديد، والتّوجبه الحجاجي له هو التّحذير من الشرك والدّعوة إلى الإيمان باليوم الآخر.

- وفي الآيات من (50 إلى 53) يعرض الله سبحانه وتعالى فيها قصّة إبليس مع سيدنا آدم عليه السّلام، وعاقبة المستهزئين بدين الله.

ففي قوله تعالى﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾، الكهف50. فعل كلامي (أفتتخذونه) وهو من صنف الإخباريات، جاء بصيغة الاستفهام، وغرضه الإنكار والتعجب، وهو حجاج، نتيجته توعّد المشركين بالهلاك، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو التّحذير من الشرك.

وفي قوله تعالى﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾، الكهف 51، ففي هذه الآية فعلان كلاميان (ما أشهدتهم؛ ما كنت) وقد «قرأها أبو جعفر(ما أشهدناهم) وقرأ (وما كنت) بفتح التاء على الخطاب، والخطاب للنبي ﷺ وهو خبر مستعمل في النهي»[1]، وهما من صنف التوجيهيات، وهو حجاج والتوجيه الحجاجي له هو التحذير من الشرك بالله.

وفي قوله تعالى:﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ الكهف 55، فعل كلامي (ما منع) وهو من صنف الإخباريات، جاء بصيغة الاستفهام، وغرضه هو التحذير والتهديد، وهو حجاج، نتيجته تهديد المشركين وتوعدهم بالعذاب الأليم، والتوجيه الحجاجي له الدعوة إلى الإيمان بالله والتحذير من الشرك به.

- وفي الآيات (60إلى 89) فقد بين الله سبحانه وتعالى فيها قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح.

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 343.

ففي قوله تعالى:﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الكهف 63، ففي الآية فعل كلامي (أرأيت) فهو من صنف الإخباريات وجاء بصيغة الاستفهام، وغرضه التعجب، وهذا حجاج نتيجته هو التأكيد على ذكر الله، والتوجيه الحجاجي له هو الدعوة إلى ذكر الله لطرد وساوس الشيطان.

وفي قوله تعلى:﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ الكهف 64-66 ففي هذه الآيات فعل كلامي (هل أتبعك) وهو من صنف الإخباريات، جاء بصيغة الاستفهام، وغرضه الالتماس، وهو حجاج ، نتيجته التأكيد على طلب العلم والمعرفة، والتوجيه الحجاجي له هو الدعوة إلى طلب العلم والمعرفة.

وفي قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾الكهف 67، فعل كلامي (لن تستطيع) وهو من صنف الإخباريات، غرضه التحذير من طرح الأسئلة، وهذا حجاج، نتيجته التأكيد على الصبر، والتوجيه الحجاجي له هو الدعوة إلى الصبر.

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ الكهف73. فعلان كلاميان (لا تؤاخذني؛ لا ترهقني) من صنف التوجيهيات، جاءا بصيغة النهي، وغرضهما هو الالتماس، وهو حجاج، نتيجته التأكيد على التماس العفو وطلب المسامحة، والتوجيه الحجاجي له هو الدعوة إلى التسامح.

- وفي الآيات من (83 إلى 98) ذكر الله سيحانه وتعالى قصة ذي القرنين ورحلاته إلى مشارق الأرض ومغاربها، وفي هذه الآيات أفعال كلامية منها:

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ

آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ الكهف 95-98 والفعل الكلامي (آتوني زبر الحديد) «هو أمر لهم بمناولة زبر الحديد ، فالإيتاء مستعمل في حقيقة معناه المناولة وليس تكليفا للقوم بأن يجلبوا له الحديد من معادنه»[1] وهو من صنف التوجيهيات، جاء بصيغة الأمر، وغرضه الالتماس وطلب المساعدة، وهو حجاج، نتيجته التأكيد على مساعدة من يطلب العون، والتوجيه الحجاجي له الدعوة إلى التعاون.

- وفي الآيات من (99 إلى 106) فقد بيّن الله سبحانه وتعالى فيها عاقبة الكفر والمشركين، فقد غلبت على هذه الآيات الأفعال الكلامية التي من صنف الإخباريات، ومن أمثلتها:

قوله تعالى:﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾الكهف 100، فالفعل الكلامي (عرضنا) من صنف الإخباريات، غرضه التهويل، وهو حجاج، نتيجته التّهديد بالعذاب لمن كفر وأشرك بالله، والتّوجيه الحجاجي له هو التحذير من الشّرك والكفر.

ومن أمثلة الأفعال الكلامية في قوله تعالى:﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾الكهف 102، الفعل الكلامي (أفحسب) وهو من صنف التعبيريات جاء بصيغة الاستفهام، وهو حجاج، نتيجته الإنكار والتّوبيخ والوعد والوعيد للكفار المشركين، والتّوجيه الحجاجي له هو التحذير من الكفر والشّرك بالله.

- ففي الآيات (107إلى 110) فقد بيّن الله سبحانه وتعالى الأجر الحسن والعظيم الذي ينتظر المؤمنين بالله، ومن أمثلة الأفعال الكلامية فيها:

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص 36.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ الكهف 107-108، فالفعلان الكلاميان (آمنوا –عملوا) من صنف الإخباريات وغرضهما هو الوعد بالخلود في الجنة، وهو حجاج نتيجته الثواب الحسن لمن يعمل صالحا، والتوجيه الحجاجي له هو الدّعوة للإيمان والعمل الصّالح.

وفي قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف 109 فعل كلامي (قل) وهو من صنف التّوجيهيات، جاء بصيغة الأمر، وغرضه التّأكيد والتّبليغ، وهو حجاج، نتيجته التّأكيد على قدرة الله تعالى، والتّوجيه الحجاجي له هو التّحذير من الشّك في قدرة الله تعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف110 فعلان كلاميان (فليعمل – ولا يشرك) وهما من صنف التوجيهيات جاءا بصيغتي الأمر والنهي، وهو حجاج، نتيجته الحثّ على العمل الصّالح والنّهي عن الشّرك، والتّوجيه الحجاجي له والدّعوة إلى العمل الصالح والتّحذير من الشرك وارتكاب المعاصي.

4-الوصف:

والمقصود به من كونه آلية حجاجية، هو ما كان اسما مشتقا أو كان نعتا.

أ-اسم الفاعل:

موضعه في الآية	رقمها
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ **الْمُؤْمِنِينَ** الَّذِينَ يَعْمَلُونَ **الصَّالِحَاتِ**	2
مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا	3
فَلَعَلَّكَ **بَٰخِعٌ** نَّفْسَكَ	6
وَإِنَّا **لَجَٰعِلُونَ** مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا	8
مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ **ٱلْمُهْتَدِ** ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا **مُّرْشِدًا**	17

فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءً **ظَٰهِرٗا**	22
وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيۡءٍ إِنِّي **فَاعِلٞ** ذَٰلِكَ غَدًا	23
وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا **مُبَدِّلَ** لِكَلِمَٰتِهِۦ	27
إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا **لِلظَّٰلِمِينَ** نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَآ	29
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ **ٱلصَّٰلِحَٰتِ**	30
وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ **مُّتَّكِـِٔينَ** فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا31	31
فَقَالَ **لِصَٰحِبِهِۦ** وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ	34
وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ **ظَالِمٞ** لِّنَفۡسِهِ	35
وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ **قَآئِمَةٗ**	36
وَهِيَ **خَاوِيَةٌ** عَلَىٰ عُرُوشِهَا	42
وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ **مُنتَصِرٗا**	43
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ **مُّقۡتَدِرًا**	45
وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ **بَارِزَةٗ** وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدًا	47
وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى **ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ**	49
وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ **حَاضِرٗا**ۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا	49
بِئۡسَ **لِلظَّٰلِمِينَ** بَدَلٗا	50
وَمَا كُنتُ **مُتَّخِذَ** **ٱلۡمُضِلِّينَ** عَضُدٗا	51
وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا **مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ**	56
قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ **صَابِرٗا**	69
وَكَانَ أَبُوهُمَا **صَٰلِحٗا**	82
وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ **صَٰلِحٗا** فَلَهُۥ جَزَآءَ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ	88
إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ **مُفۡسِدُونَ** فِي ٱلۡأَرۡضِ	94
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ **ٱلصَّٰلِحَٰتِ** كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا	107
خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا	108

فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا **صَٰلِحًا** وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا	110

– يعتبر اسم الفاعل آلية حجاجية، ففي قوله تعالى:﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾الكهف 2.

– فاسم الفاعل المصاغ من الفعل الرباعي (آمن) ليس مجرد وصف أو توصيف بل هو حجاج نتيجته تعرف من مقتضاه، وهو وجوب العمل الصالح، والتوجيه الحجاجي له هو الدعوة إلى العمل الصالح لكي ينال أجرا عظيما.

– واسم الفاعل من قوله:﴿ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾الكهف 3 هو اسم مشتق من الفعل الثلاثي مكث وهو حجاج، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو الدعوة إلى العمل الصالح الذي نتيجته الجنة.

– واسم الفاعل من قوله تعالى:﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾الكهف31 فهنا اسم الفاعل هو اسم مصوغ من الفعل الخماسي اتّكأ ليس مجرد وصف أو توصيف، بل هو حجاج نتيجته الجزاء الحسن، والتوجيه الحجاجي هو الحث والتشجيع على اتباع أوامر الله تعالى وتجنب نواهيه.

– وقد ورد اسم الفاعل أيضا في قوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ الكهف 69 فاسم الفاعل في هذه الآية هو صابرا، «وهو مصوغ من الفعل الثلاثي صبر، وقد كان انتقاء كلمة صابرًا أبلغ في ثبوت الصبر من نحو سأصبر، لأنه يدل على حضور صبر ظاهر لرفيقه ومتبوعه، وظاهر أن متعلق الصبر هنا هو الصبر على ما من شأنه الجزع والضجر من تعب المتابعة، ومن مشاهدة ما لا يتحمله إدراكه ومن ترقب بيان الأسباب والعلل والمقاصد، ولما كان هذا الصبر الكامل يقتضي طاعة الأمر فيما يأمره به »[1] وهو حجاج مقصود منه تثبيت نتيجة مفادها أن من صفات طالب العلم هو الصبر، والتوجيه الحجاجي لهذا القول هو الدعوة إلى الصبر والتحمل والتحذير من التسرّع.

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 372 إلى 373.

– وفي قوله:﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾الكهف 88، فاسم الفاعل في هذه الآية هو (صالحا) وهو حجة نتيجتها هو الجزاء الحسن، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو والتشجيع على العمل الصالح والإيمان بالله تعالى.

– وفي قوله:﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الكهف 94، فاسم الفاعل في هذه الآية هو (مفسدون) مصوغ من الفعل الرباعي (أفسد) حجة، ونتيجتها الوقاية من الفساد في الأرض، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو التأكيد على طلب المساعدة والنجدة.

– وفي قوله:﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ فاسم الفاعل في هذه الآية هو (خالدين)، وهو مصوغ من الفعل الثلاثي (خلد) حجة، ونتيجته النعيم الكامل ومن تمامه أنه لا ينقطع لأنهم لا يرون إلا ما يعجبهم ويسرهم ويفرحهم، ولا يرون نعيما فوق ما هم فيه، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو التنبيه على رغبتهم في الجنة وحبهم لها.

ب–النعت: يعد النعت آلية حجاجية ومواضعه في سورة الكهف هي:

رقمها	مواضعه في الآية
2	قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا **شَدِيدًا** مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا **حَسَنًا**.
8	وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا **جُرُزًا**
15	لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ **بَيِّنٍۖ**
31	وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا **خُضْرًا**
40	فَتُصْبِحَ صَعِيدًا **زَلَقًا**
46	وَٱلْبَٰقِيَٰتُ **ٱلصَّٰلِحَٰتُ** خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ
71	شَيْـًٔا **إِمْرًا**
74	قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا **زَكِيَّةًۢ**
87	قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا **نُّكْرًا**

ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ **ٱلدُّنۡيَا**	104
أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ **وَٰحِدٞۖ**	110
فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا **صَٰلِحٗا** وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا	110
مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا **مُّرۡشِدٗا**	17
فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ **ظَٰهِرٗا** وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا	22
وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ **ٱلدُّنۡيَا**	45

من أمثلة النعت أو الوصف بوصفه آلية حجاجية قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شديدا مِّن لَّدُنۡهُ﴾ الكهف 2، الشاهد في هذه الآية هو الصفة "شديدا" لموصوف "بأسا"، وهي حجة نتيجتها التهويل والتهديد للمشركين المنكرين إنزال القرآن الكريم من الله، «والبأس الشديد في الألم ويطلق على القوة في الحرب لأنها تؤلم العدوّ. وقد تقدم في قوله تعالى: «والصابرين ي البأساء والضراء وحين البأس» من سورة البقرة، والمراد هنا: شدة الحال في الحياة والدنيا، وذلك هو الذي أطلق على اسم البأس في القرآن»[1]، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو التهديد والوعيد والدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى.

وفي قوله: ﴿أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا﴾ الكهف2 فالشاهد في هذه الآية هو "حسنا" وهي صفة لموصوف "أجرًا"، وهي حجة نتيجتها الإيمان والعمل الصالح، ذلك أن استحقاق الأجر بحصول ذلك لأمرين وهما حصول الإيمان مع شيء من الأعمال الصالحة كثير أو قليل، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو الدعوة الملحة للعمل الصالح مع الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

وفي قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا﴾ الكهف8، فالصفة في الآية "جرزا" الموصوف "صعيدا"، وهي حجة: نتيجتها هو الفناء ونهاية العالم، فالصعيد هو التراب، والجرز هو القاحل الأجرد، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو التحذير من الاغترار بالدنيا لأنها زائلة والترغيب في الدار الآخرة لأن نعيمها دائم.

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص250.

وفي قوله: ﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ الكهف 15، فالشاهد في هذه الآية صفة "بيّن" لموصوف "سلطان" وهي حجة، نتيجتها الانكار. والمعنى من هذه الآية: إذ لم يأتوا بسلطان بيّن على ذلك فقد أقاموا اعتقادهم على الكذب والخطأ، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو التحذير من الكذب.

وفي قوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا) الكهف22، فالصفة "ظاهرا" لموصوف "مراء" هي حجة، نتيجتها الاختلاف في عدد أهل الكهف، أي إذا أراد بعض المشركين المماراة في عدد الفتية "أهل الكهف" لأخبار تلقونها من أهل الكتاب أو لأجل تحقيق عدّتهم فلا تمار فيهم. «والمراء الظاهر: لا سبيل لإنكاره ولا يطول الخوض فيه، وذلك مثل قوله: "قل ربي أعلم بعدتهم" وقوله "ما يعلمه إلا قليل"، فإنّ هذا مما لا سبيل لإنكاره، وإبانته لوضوح حجته»[1].

وفي قوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الكهف 45، فالصفة في هذه الآية "الدنيا" لموصوف "الحياة"، هي حجة، نتيجتها الإقبال على الحياة الزائلة ونعيمها والغرور الذي غرّ طغاة أهل الشرك، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو الدعوة للاستعداد إلى الحياة الآخرة وهي الحياة بعد الموت.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ الكهف46، فالشاهد في هذه الآية صفة "الصالحات" لموصوف "الباقيات" حجة، ونتيجتها هو الثواب الذي يُنال منها، وهو خالد، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو الدعوة إلى العمل الصالح والتشجيع عليه.

[1] – المرجع السابق، ص295.

5-تحصيل الحاصل: وهو آلية لغوية توظف لغايات حجاجية، ومن أشهر أشكاله التي وجدناها في سورة الكهف:

أ-الإحالة بالضمير:

ومن أمثلة الإحالة بالضمير قوله تعالى:﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾الكهف13. ففي ظاهر اللفظ يبدو هضا القول لا يقدم إضافة جديدة للمتلقي أي معناه ظاهرا "وهو عن الفية"، غير أنه في حقيقته حجاج مقصود منه تثبيت نتيجة مفادها أن الشباب مرحلة من مراحل عمر الإنسان يجب اغتنامها في البحث عن الحقّ والتضحية من أجله والإقبال عن العمل الصالح، وعد تضييعها في اللهو، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو: الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح والتحذير من اللهو.

ومن أمثلة الإحالة بالضمير قوله تعالى:﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾الك هف35-36. ففي ظاهر هذا القول أن يحيل بالضمير "هو" على معلوم، غير أنه حجاج يحيل إلى نتيجة تتمثل في عدم التكبر والغرور والافتخار، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو الدعوة إلى الإيمان بالله وباليوم الآخر والتحذير من التكبر والغرور.

ب-الإحالة باسم الإشارة:

ومن أمثلة الإحالة باسم الإشارة في سورة الكهف:﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ **هَٰذَا** الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾الكهف 49. ففي ظاهر الآية فإن اسم الإشارة يحيل به على معلوم، وهو حال المجرمين يوم القيامة، غير أنه حجاج نتيجته استدراك التقصير وإصلاح المعوجّ مادام فيك عقل يعي ونفس يتردد. والتوجيه الحجاجي له

هو الدعوة إلى الالتزام بالتوبة والاستغفار، فإنه نعم الباب وعدم الاستهانة بصغائر الأعمال، فإن الناس يوم القيامة تضج من آثارها.

ومن أمثلة الإحالة باسم الإشارة أيضا قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي **هَٰذَا** الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾الكهف 54. فاسم الإشارة "هذا" في ظاهر القول يشير إلى معلوم وهو القرآن، غير نه حجاج، نتيجته وجوب التسليم لأوامر الله تعالى والانقياد بالطاعة لشرائعه، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو الدعوة إلى القيام بما أمرنا به الله سبحانه وتعالى وعدم المنازعة والمجادلة بالباطل.

ومن أمثلة الإحالة باسم الإشارة قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾الكهف 59. فاسم الإشارة "تلك" في ظاهر القول يحيل إلى معلوم وهو القرى الغابرة المهلكة بسبب كفرها وفسوقها عن أمر ربها كقرى قوم نوح وهود وصالح عليهم السلام، غير نه حجاج، نتيجته هو إشعار أهل مكة حين يمون على تلك القرى الظالمة المهلكة، والتوجيه الحجاجي هو الدعوة إلى عدم الشرك وتوحيد الله سبحانه وتعالى.

6-العوامل الحجاجية:

وهي أدوات لغوية أو عناصر لغوية إسنادية أو معجمية تربط بين مكونات القول الواحد كالنفي والحر والاستثناء، ومن أمثلة العوامل الحجاجية في سورة الكهف:

أ-عاملية النفي: ومن لأمثلة النفي الحجاجي قوله تعالى:﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾الكهف 78. والنفي في هذه الآية حجاج ونتيجته نفع الصبر لطالب العلم وأهميته، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو الدعوة إلى الصبر والتحمل من أجل طلب العلم.

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى:﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾الكهف 105. ونتيجة ملفوظ النفي إثبات أن كل من يؤمن

بآيات الله ولقائه وعمل صالحا فيوم القيامة ناجح بما عمله في الدنيا، والتوجيه الحجاجي هو الدعوة إلى العمل الصالح.

ب-عاملية أدوات القصر والاستثناء: ومن أمثلة القصر بـ"إنما" في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الكهف 110. فالآية الكريمة هنا تثبت للرسولﷺ صفة البشرية وتنفي عنه أن يكون ملكا أو غير بشر، إلا أنها تثبت له أن الله تبارك وتعالى قد فضله على غيره من البشر بالوحي إليه، وهذا التوجيه الحجاجي هو نفي أن الرسولﷺ ليس بشرا.

وفي موضع آخر من الآية نجد عاملية القصر بـ "إنّما" في:﴿...أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ﴾ فهذا القصر يثبت أ الله واحد لا شريك له وينفي وجود إله غيره، والتوجيه الحجاجي هنا هو نفي وجود أله من الله وحده لا شريك له.

7-معاني الروابط الحجاجية:

إن الروابط في القرآن الكريم في آياته يُعدُّ سمة أساسية، فالانتقال في السورة الواحدة يأتي عبر ترابط ذي صلة وثيقة لا تنفصم عن غيرها لذا فإنها «يتحقق فيها وحدة الموضوع ووحدة المقصد ووحدة الشعور والجو النفسي»[1].

فلم تكن آية بمعزل عن الأخرى، فالكل نسيج واحد، إذا الربط الحجاجي يقوم بين ملفوظين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية واحدة حيث تنقسم إلى أنماط عدة منها: «المدرجة: (بل؛ لكن؛ مع ذلك؛ لأن)، وروابط مدرجة للنتائج مثل: (إذن؛ لهذا؛ وبالتالي)،

[1] - علي بن محمد الحمود، جماليات الترابط في قصص سورة الكهف، مجلة الدرعية، ع 40-44، 2008، ص445.

وروابط تدرج حجاجا قوية (حتى؛ بل؛ لكن؛ لاسيما)، وروابط التعارض الحجاجي (مع ذلك؛ لكن؛ بل)»[1].

أ-الرابط حتى:

وسورة الكهف من عجيب أسرارها ذلك التربط المتناسق، ومن بين الروابط "حتى" في قصة ذي القرنين.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ.....وَجَدَهَا تَطْلُعُ﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ.....وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ.....قَالَ انفُخُوا﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا.....قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾

فهذه الحالة هي حالة بناء متقن لسدٍّ (عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائتا ذراع وطوله فرسخ). فما اسطاعوا أن يظهروه ولا أن يعلوا من فوقه لطوله وملامسته، وما اسطاعوا له نقبا من أسفله لشدته وصلابته. حيث إنه لا يفتح مرة أخرى، لذا يستلزم البناء خطوة بخطوة من الحديد، ثم تسويته بين الصدفين، ثم إذابته بالنار، ثم إفراغ القطر عليه وهو النحاس»[2].

أما النتيجة فجاءت مقترنة بما في قوله تعالى ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ الكهف 97، فالتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو التأكيد على مدى قوة البناء الذي مكنه الله لذي القرنين أن يبنيه حتى لا يستطيع قوم يأجوج ومأجوج الخروج منه إلى أن يشاء الله.

ب-الرابط الحجاجي بل:

[1] – أبو بكر الغزاوي، اللغة والحجاج، دار الرحاب، بيروت، 2010، ص45.

[2] – إبراهيم عبد العالي حنفي، الحجاج في القرآن الكريم، سورة الكهف أنموذجا، مجلة الدراسات العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ص 3914.

وهو من روابط التعارض الحجاجي، يربط بين حجتين معارضتين تخدمان نتيجتين مختلفتين، وتعمل "بل" على تقوية حجة أخرى فقد قال "الرّوماني": «إن بل من الحروف الهوام، ومعناها الإضراب عن الأول والاتجاه للثاني»[1].

ومن أمثلتها في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ الكهف 48، «فيحتمل أن يكون المراد أنّ جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفا واحدا، ويحتمل صفوفا ثم يتوجه لخطاب المنكرين للمَعاد وتوبيخ لهم على رؤوس الأشهاد، ولهذا قال تعالى مخاطبا لهم: "بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا" أي ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم، ولا أن هذا كائن»[2]. نلاحظ أن الرابط "بل" كان إضرابا على ما قبله وجاء على وجه الترك من غير إبطال ما قبله، فقد أقام الرابط العلاقة الحجاجية المركزية في الخطاب.

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ الكهف 58، فالآية تبين مدى حلم الله وستره ومغفرته، وربما يهدي بعضهم من الغي إلى الرشاد، ومن استمرّ منهم فله يوم يشيب فيه الوليد، ثم قال: (بل لهم موعدٌ) أي ليس لهم عنه محيص ولا محيد ولا معدل، فالرابط "بل" في هذه الآية الكريمة أفاد الإضراب المفيد أي أن الله عزّ وجل رغم حلمه ومغفرته إلا أنه يتوعد الكافرين في يوم لا يضل فيه ربي ولا ينسى.

ج-الرابط الحجاجي لكن:

وهي الأداة الملائمة لموضع الاستدراك من الأقوال، ومن أمثلتها في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ الكهف 38. ففي الآية الكريمة «يُعْلنُ الرجل الصالح موقفه بشجاعة ووضوح، فيقول لصاحبه صاحب الجنتين: "لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي

[1] – الرمّاني، معاني الحروف، تح: عرفان بن سليم حسونة ،المكتبة العصرية، بيروت،ط1، 2005، ص71.

[2] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج3، ص102.

وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا" فهو ينفي أنه كافر بالله ولكنه مؤمن»[1]. وهذا حجاج نتيجته الحجاجية تتمثل في نفي الشرك بالله وإثبات توحيده أما التوجيه الحجاجي له فهو التأكيد على توحيد الله عزّ وجل وعدم الشرك به.

ثانيا: الآليات البلاغية:

1-الصور البيانية:

أ-الاستعارة:

تعد الاستعارة بأنواعها إحدى الآليات الحجاجية البلاغية والتي لها دور في تقوية الحجج، وزيادة درجة الشحن بهدف التأثير والإقناع، ومن الآليات التي تساهم وتعمل على إقناع المتلقّي.

وقد وردت الاستعارة **التصريحية** في سورة الكهف في مواضع منها:

قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ﴾ 1و2 الكهف. فقد استعار كلمة "العوج" بمعنى الميل والزيغ، مصرّحا بأن كل ما في هذا الكتاب المنزّل واضح بيّن جليّ، فهو كتاب مستقيم لا اعوجاج فيه ولا زيغ، فالمشابهة في هذه الاستعارة هي الهداية التي جاء بها هذا الكتاب – وهو القرآن الكريم– الذي يهدي إلى الصراط المستقيم بدليل قوله تعالى «قيّما» أي مستقيما، والصورة الفنية التي رسمتها استعارة (عوجًا) للقرآن الكريم جعلتنا نرى بوضوح أن كل ما في هذا الكتاب مستقيم وجليّ لا يأتيه الزيغ ولا الميلان، فالاستعارة أسهمت في بناء «القول الحجاجي من مختلف النواحي الحجاجية الاستدلال والتأثير والإقناع»[2].

بالإضافة إلى ذلك **الاستعارة المكنية** ومن أمثلتها في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ الكهف28، ففي هذه الآية لم يأت تصريح

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج3، ص98.

[2] – عشير عبد السلام، عندما نتواصل نتطور، ص112.

بالمستعار وهو الرجل الذي شغل نفسه بأمور الدنيا وانشغل عن الدين وعن عبادة الله، فنسي نفسه ونسي حقوقه مع ربه، لكنه أتى بأحد لوازم غفلة ذلك الرجل وهو قلبه، فغفلة القلب سبب في غفلة الإنسان وانشغاله. فجاء القلب في هذا المقام كنية عن الرجل فكانت استعارة مكنية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ الكهف 99، فالأصل الموجان من صفات الماء الكثير، وإنما عبّر سبحانه بذلك عن شدّة اختلافهم ودخول بعضهم في بعض لكثرة أضدادهم تشبيها بموج البحر المتلاطم.

ومن أمثلة الاستعارة التمثيلية قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ الكهف17، فهنا صورة تقلب أصحاب الكهف وحركاتهم حين طلوع الشمس وحين غروبها، «فلأصل في هذا أن تقلبهم وحركاتهم وهم داخل الكهف كمن يكون تارة على اليمين وتارة أخرى على الشمال بحيث أن الشمس لا تصيبهم في فترات طلوعها وغروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس»[1]. فجاءت الاستعارة صورة فنية تحشد لنا تحركاتهم ودليل وحجة كأنهم أمام أعيننا من خلال كلمتي: (تزاور –تقرض).

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الاستعارة جاءت بمثابة دعوى أو أطروحة، والمتلقي مطالب بالاقتناع بها أو معارضتها، وهذا ما يستدعيه التوجيه الحجاجي.

ب–التشبيه (التمثيل):

التشبيه من أهم الآليات الحجاجية البلاغية التي تخدم وتؤدي بالمتلقي إلى الإقناع الراسخ بالفكرة المطروحة، وقد استخدمه الله في القرآن بكثرة. ومثاله قوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾. الكهف45.

[1] – الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود، الكشاف في حقائق التنزيه وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص475.

فالتشبيه هنا تمثيلي مقلوب، حيث شبه الحياة الدنيا وما فيها من زخارف تعجب المتلهي برؤيتها والمستمتع بزينتها حتى إذا أفاق من عمايته وجد أن ما كان يتلهى ويستمتع به باطل لا حقيقة. بالنبات الذي اختلط به الماء الهاطل من السماء فربا والتف وزها، وأنبت من كل زوج بهيج. ولم تكد العين تستمتع به والنفس تنشرح بمنظره حتى يبس ثم جف وذبل، فكأنه ما كان.

فالتمثيل أحد وسائل الحجاج، ولكون القرآن الكريم خطابا حجاجيا إقناعيا كان التمثيل سبيلا في التدليل على وجود الله وبطلان ما دونه وكذلك دليلا على أحقية الأنبياء عليهم السلام.

2-المحسنات البديعية:

وقد قسمه البلاغيون إلى محسنات معنوية وأخرى لفظية، وكثر ورودها في سورة الكهف بنوعيها، لما لها من هدف الإقناع وبلوغ الأثر وبلغه دون أن ننسى دورها الأساسي وهو زيادة المعنى جمالا وبهاءً.

ومن المحسنات المعنوية في سورة الكهف:

أ-**الطباق:** «وهو أن تجمع بين متضادين» وهو نوعان: طباق سلبي وآخر إيجابي، وقد عده العديد من علماء البلاغة أهم المحسنات البديعية.

ونجد في سورة الكهف أن الطباق أكثر المحسنات وجودا في الآيات واضحا، والجدول الموالي يوضح ذلك.

الآية	رقمها	الطباق
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ	4/3/2	لينذر-يبشر

ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنًا (2)مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا (3)وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا		
وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا	17	(طلعت–غربت) (ذات اليمين–ذات الشمال) (يهدي –يضل)
وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا	18	(أيقاظا–رقود) (ذات اليمين–ذات الشمال)
وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا	28	(الغداء –العشي)
قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۖ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا	26	(فليؤمن –فليكفر)
وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29)إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا	30/29	(نعم –بئس) (ساءت –حسنت)
وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا	56	(مبشرين–منذرين)
وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ	58	(الرحمة–العذاب)

ٱلۡعَذَابُۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا		
قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا	63	(نسيت–أذكره)
حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا	90	(مغرب–مطلع)
وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا	49	(صغيرة–كبيرة)

وسنتطرق فيما يأتي لتحليل نموذجين للطباق وبيان مدى أهميتهما في التوجيه الحجاجي والإقناع.

أولهما في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ الكهف 58، فنجد الطباق بين (الرحمة) و (العذاب). فالله سبحانه وتعالى موصوف بالرحمة وعلامة رحمته عدم تعجيل العذاب، وقد ذكر عزّ وجلّ الرحمة قبل العذاب دلالة على أن رحمته سبقت عذابه.

فالوظيفة البلاغية للطباق هو التأكيد على رحمته سبحانه وهذا لتأكيد دور الأنبياء في التبشير برحمته عزّ وجلّ، وهو سبيل لإقناع المكذبين والعاصين، والتوجيه الحجاجي له هو التأكيد على رحمة الله بعباده.

وثانيهما في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۖ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف 29.

فالطباق بين (فليؤمن –فليكفر) الذي جاء مباشرة بعد تبيان الحق من الله سبحانه وتعالى، هذا هو الحق، لا مجاملة على حساب الدين، إنها العقيدة، من اتبعها وجعل هواه تبعا لها جاء به الحق فهو المؤمن ومن خالف فهو الكافر.

فالوظيفة الواضحة للطباق هنا التهديد والوعيد لمن كفر بالله بأن الجزاء نار نحيط بهم وهذا أحد أساليب الحجاج والإقناع للدخول في دين الله عزّ وجلّ، وهو حجاج، والتوجيه الحجاجي له هو التحذير من الكفر والدعوة إلى الإيمان بالله.

ب–المقابلة:

تأتي المقابلة في بعض الأحيان رديف للطباق، وهناك بعض الآيات التي وردت في الطباق قد وردت في المقابلة. ومن أمثلتها الآية 17 ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ فبين دخول الشمس عليهم عند طلوعها، ودخولها عليهم ساعة غروبها صورة تقابلية تبين رعاية وحفظ الله لهؤلاء الفتية، الذين اهتدوا وآمنوا بربهم –سبحانه وتعالى– فحفظ أجسام الفتية طيلة سنوات تأكيدا وحجة وبرهانا على قدرة الله عزّ وجلّ، فهذا توجيه حجاجي لمن شاء اهتدى به، ومن شاء ضل عنه.

ومن أمثلة المقابلة ما ورد في الآية 29 ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ وذلك بين (بئس الشراب وساءت مرتفقًا) و(نعم الثواب وحسنت مرتفقًا)، فصورة أهل النار فيها من التهكم وفيها من الوعيد الكثير لأهل الضلال، وعلى الوجه الآخر عكس لهذه الصورة نعيم أهل الجنة، فهم في الجنة للنعيم والاتّكاء بعكس أهل النار.

فالغرض البلاغي من المقابلة في شقها الأول التهكم والتحقير ونهاية من عصى، أما الصورة الثانية فكانت الثواب والراحة والنعيم.

ومن خلال الصورتين يريد المولى عزّ وجلّ تبيان الطريق المستقيم للناس، وهو فحوى التوجيه الحجاجي.

ومن المحسنات اللفظية الموجودة في سورة الكهف:

أ-الجناس:

وقد عرّفه ابن الأثير بقوله: «وحدُّ التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى»[1]. وهو نوعان تام وغير تام. ونجده في سورة الكهف في مواضع عديدة نذكر منها:

في قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ الكهف14 . فالجناس هنا بين (قاموا) و(قالوا) فالله تعالى ربط على قلوبهم وثبتهم، وقوّاهم حتى قاموا بين يدي الملك، ولكنهم لم يأبهوا لملكه وجبروته فقد ربط الله على قلوبهم فقاموا بلا خوف، فهو حجاج نتيجته التأكيد على ثبات إيمان الفتية، فالتوجيه الحجاجي له هو الدعوة إلى الثبات على الإيمان بالله ،

في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف103-104. نلاحظ أن الجناس بين كلمتي (تحسبون) و(يُحسنون)، وهو جناس غير تام، فقد أخبر الله في الآيتين عن هؤلاء الذين يحسبون أن أعمالهم تنجيهم من الهلاك، وظنوا أنهم يحسنون إلى أنفسهم بعملهم، ولكن ظل سعيهم، فالتوجيه الحجاجي للجناس هو التحقيرً والاستهزاءً بالمكذبين.

وفي قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف109. في الآية يضرب الله مثلا لسعة كلامه وعلمه،

[1] – ضياء الدين الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، دت، ص267.

بمداد البحر الذي لن ينفذ، ولن ينتهي، وهي صورة محسوسة ملموسة عقلها الناس وعرفوها. ولو انتهى البحر لمدّه بحر آخر وزاده.

والجناس هنا بين كلمتي (مَدَد) بمعنى الحبر والثانية (مددَ) بمعنى الزيادة والامتداد.

والتوجيه الحجاجي هنا هو الدعوة إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وتوحيده.

من خلال ما سبق فالجناس من الأساليب البديعية التي تجذب السامع وتؤثر في نفسه وتحدث فيها ميلا إلى الإصغاء لما يعرض عليها ودفعها إلى قبوله وتمثله، والمولى عزّ وجلّ أراد من الجناس الإقناع والتأثير في كل مشكك بقدرته.

ب-السجع:

يعتبر السجع محسنا لفضيا يعطي للكلام رونقا ويزيده بهاء وجمالا، من دون تكلف، ومن أمثلة السجع في سورة الكهف:

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف 47-48-49. ففي هذه الآيات تصوير لمشهد من مشاهد يوم القيامة؛ تسيير الجبال ثم حشر العباد ثم عرضهم على الله بعدها يبدأ عرض الكتب ليقرأ كل واحد عمله.

نجد السجع في نهاية الفواصل الآيات (أحدا-موعدا)، فكلمة (أحدًا) تعطي الإيحاء بأن الله سبحانه وتعالى لم يترك من الجن والإنس أحدا، ثم يأتي السّجع وتكون كلمة (موعدًا) وهو موقف العرض الذي أنكره الكثير.

فنرى السجع هنا جاء لوظيفة أساسية، وهو خدمة المعنى والتأثير في النفس تأثيرا بليغا. فالأثر الصوتي يؤثر في نفس المتلقي أيما تأثير.

وقوله أيضا:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾الكهف107-108. فالسجع الوارد في اللفظتين (نزلا -حولا) يعطي راحة وطمأنينة عن طبيعة سكن الجنة الدائم، الذي لا يتحول عنه أهله إلى غيره أبدًا، فكان هذا الجرس في هاتين اللفظتين، مُعْطِيًا زيادة في الاطمئنان إلى سكناهم وخلودهم في الجنة أبدا.

فالتوجيه الحجاجي للسجع هنا يتجسد في الترغيب بالجزاء الجميل في الجنة، والخلود فيها.

ثالثا: الآليات شبه المنطقية:

1- السّلم الحجاجي:

يستند مفهوم السلم الحجاجي إلى مبدأ التدرج في توجيه الحجج في الخطاب تدرجا يتفاوت من حيث القوة، ذلك أن كل قول يفضي إلى نتيجة ويكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى النتيجة، وبذلك فإن السُّلم يستند إلى مجموعة الحجج متراتبة حسب ما ذكره ديكور (OSWALD Ducrot)[1].

ففي سورة الكهف نلحظ تدرجا في قصة أصحاب الكهف، حيث تبدأ من الابتلاء بظلم الحاكم مرورا بالفرار واللواذ للكهف، ثم كان بعثهم مرة أخرى فتنة لغيرهم، ثم يأتي أمر بالنهي عن المضي في ذلك الجدل، فالسّلم الحجاجي في هذه القصة يتلخص في:

ن -فتنة الجدل

[1] - ينظر: أبو بكر الغزاوي، اللغة والحجاج، ص21.

ح2 –لجوؤهم للكهف

ح1 –الفتنة والابتلاء

وفي قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ الكهف 29. هناك تخيير لكنه ينصرف عن معنى التخيير إلى الوعيد، وبالمضي إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ الكهف 29. فهنا الوعيد يظهر بارزا مهدِّدا بالعقاب ويستمر الحجاج بالدعوة إلى الحق بما يبدو تخييرا لكنه راجح الوعيد، ثم كأن الوعيد المباشر بذكر العقاب، ويختم المشهد بشكل حجاجي آخر يحمل ترغيبا لمن استجاب إلى دعوة الحق ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الكهف 30. فالسّلم الحجاجي يتلخص فيما يلي:

ن ← - الترغيب والتحبيب في الإيمان

ح2 - الترهيب والوعيد

ح1 - الإيمان أو الكفر

أما في حوار صاحب الجنتين في قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ الكه 37. إذ يقول صاحب الرزق الأدنى مخاطبا صاحبه وفير الرزق محاولا إقناعه بالتزام الشكر والحمد والعودة إلى الحق، فسيتذكر كفره أولا ويذكره بأصل خلقه ثانيا، ثم يحاججه بمنهجه وطريقه الذي اختاره في قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ الكهف 38. ثم ينتقل من الاستنكار والمحاججة بأصل الخلق والتذكير بطريق الصواب إلى الترغيب والتحبيب: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ الكهف 39. منشئا بينهما مودة حوارية تتضح بالترغيب والتضامن والتواضع ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ الكهف 40.

ثم يتابع عائدا إلى الترهيب والتخويف من العاقبة ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ الكهف 41.

فالسّلم الحجاجي في هذه الآية يلخصه الشكل التالي[1]:

ن - الترهيب والتخويف من عاقبة الكفر

ح2 - الترغيب والتحضيض على الإيمان

ح1 - إنكار الكفر

2- الروابط الحجاجية :

ومن أمثلة الروابط الحجاجية التي تؤكد وجود سلّم حجاجي الرابط الحجاجي "الواو" «وهو من الروابط الحجاجية الواصلة بين الحجج المتساندة؛ إذ يقوم بالربط بين الحجج المتساوقة وترتيبها، لهذا تترتب على سلّم حجاجي واحد»[2].

ومن أمثلته في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا

[1] – حنان إسماعيل عمايرة، الحجاج والتداولية في الخطاب القرآني، في سورة الكهف، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع 2، ج14، ص82.

[2] – مسعودة الساكر، الروابط الحجاجية في القارآن الكريم– نماذج مختارة، مجلة الآداب ،مج21،ع 1 ، ديسمبر ، 2021، ص455.

وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف 46-47-48.

فالرابط الحجاجي "الواو" في هذه الآيات قام بالوصل بين عدد من الحجج المتساوقة المتتابعة، كما قام بترتيبها لتحقيق النتيجة المرجوّة، المتمثلة في (يوم القيامة وما يحدث فيها)، والتي كانت كالآتي: الحجة الأولى($ح_1$) والتي صورت حال الجبال يوم القيامة في قوله: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ)، تليها الحجة الثانية ($ح_2$) والتي أشارت إليها بيان حالة ثانية من أهوال يوم القيامة، وهي ظهور الأرض دون أن يسترها شيء من نبات أو جبال وشجر في قوله: (وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً)، ثم الحجة الثالثة ($ح_3$) تحدث عن حشر الخلائق جميعا دون ترك أحد منهم (وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا)، في حين تمثلت الحجة الرابعة ($ح_4$) في أن الخلق يعرضون صفا بعد صف كالصفوف في الصلاة (وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا)، وبعدها تعرض كتب الأعمال في أيدي العباد في الحجة الخامسة ($ح_5$) في قوله تعالى: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ)، ثم تأتي الحجة السادسة ($ح_6$) والتي تمثلت في قول الكفار "يا ويلتنا" عندما يرون الكتاب الذي سجلت فيه كل صغيرة وكبير في قوله: (وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا)، وفي الحجة السابعة ($ح_7$) والتي بينت إيجاد جزاء ما عملوا حاضرا في قوبه: (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا)، وأخيرا الحجة الثامنة ($ح_8$) والتي تمثلت في أن الله سبحانه لا يأخذ أحدا بجرم ولا يأخذه بما لم يعمله أي لا ينقص طائعا من ثوابه ولا يزيد عاصيا في عقابه.

تصوير يوم القيامة وما يحدث فيه

ن

$ح_8$ - لا يظلم ربك أحدا

$ح_7$ - وجدوا ما عملوا حاضرا

$ح_6$ - وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا

$ح_5$ - وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ

$ح_4$ - وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا

$ح_3$ - وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا

$ح_2$ - ترى الأرض بارزة

$ح_1$ - تسير الجبال

حيث تمثل (ح1 ؛ح2 ؛ح3 ؛ح4 ؛ح5 ؛ح6 ؛ح7 ؛ح8) حججا مترابطة، وكل حجة تساند الأخرى وتقويها، بواسطة الرابط الحجاجي (الواو) لتحقيق نتيجة واحدة (ن) "يوم القيامة وما يحدث فيه للكفار".

والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج التأكيد على وجود بوم القيامة وتحذير الكافرين.

ومن أمثلة الروابط الحجاجية التي تؤكد وجود سلّم حجاجي (حتى) «الذي يعد من روابط التساوق الحجاجي، الذي يربط بين حجتين أو أكثر، لهذا التوجه الحجاجي نفسه، أي تخدم نتيجة واحدة، بحيث تكون الحجة البعدية أقوى من القبلية»[1]. ومثاله قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ الكهف 70.

ففي هذه الآية الكريمة قول الخضر لموسى عليه السلام: إن اتبعتني فلا تسألني عن شيء مما تشاهدني أقوم به حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله في الوقت الذي ينبغي إخبارك به، فنهاه عن سؤاله، ووعده أن يوقفه على حقيقة الأمر.

يلاحظ على الآية الكريمة وجود الرابط الحجاجي (حتى) الذي تمثلت حجاجيته في ربطه بين حجتين متتابعتين تخدمان نتيجة واحدة والمتمثلة في:

حيث كانت الحجة البعيدة (ح2) ﴿أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أقوى في دلالتها وتثبيتها للنتيجة في الحجة القبلية (ح1) ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾.

ويمكن التمثيل لهذا في الخطاطة التالية:

الصبر وعدم العجلة في طلب الأمر. ن

ح2 -أحدث لك منه ذكرا

(حتى)

ح1 - فلا تسألني

[1] – المرجع السابق، ص453.

ومما سبق نقول إن الرابط الحجاجي (حتى) يخدم نتيجة واحدة منطلقها من حجتين متساوقتين قبلية ($ح_1$) وبعدية ($ح_2$) تنتميان إلى الفئة الحجاجية ذاتها، بحيث الحجة الواردة بعده أقوى حجاجية من الواردة قبله ($ح_1$)، والتوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو الدعوة إلى التريث والصبر على طلب العلم.

خـــــــاتمة

خاتمة:

بعد هذه الوقفة المتأنية مع آليات الحجاج والإقناع في الخطاب القرآني (سورة الكهف أنموذجا) دراسة تداولية توصلنا إلى جملة من النتائج:

- ارتبط الحجاج عبر مساره التاريخي بمصطلحات طالما اعتبرت مرادفات له (كالجدل، الحوار، البرهان، المناظرة).
- ارتبط الحجاج بالكثير من الحقول المعرفية كالمنطق والفلسفة.
- كل المفاهيم السابقة هدفها واحد هي محاولة التأثير وإقناع المتلقي.
- هناك علاقة بين مصطلحي الحجاج والإقناع فالحجاج هو آلية ووسيلة تفضي إلى التأثير والإقناع.
- يعد الحجاج مبحثا قائما بذاته في عدة علوم باعتباره أحد أهم المباحث التداولية، فالدراسات الحديثة بينت أنه لا خطاب بلا حجاج كون المتكلم يسعى دائما من خلال أقواله إلى توجيه المتلقي نحو نتيجة معينة.
- انفتاح الباحثين العرب المعاصرين على النظريات الغربية، واستثمارها في شكل تطبيقي على الخطاب العربي عامة والإسلامي خاصة.
- ظهرت دلالة الحجاج في القرآن الكريم بمعان مختلفة كالجدل والمناظرة وجاءت كل هذه الدلالات لتصب في قالب واحد وهو استمالة المتلقي والتأثير فيه بهدف الإقناع.
- اشتملت سورة الكهف على وسائل وآليات عدة من صور التأثير والإقناع.
- تعد سورة الكهف ذات خطاب حجاجي بامتياز وذلك من خلال القصص الواردة فيها ومن خلال الآليات الحجاجية سواء المنطقية أو شبه المنطقية.
- تنوع الآليات الحجاجية في سورة الكهف بين ما هو لغوي؛ فوجدنا أن لام التعليل هو الرابط الطاغي في السورة، أما الشرط فالعامل "إنْ" كان الأكثر ورودا في السورة، أما بالنسبة لأفعال الكلام فقد كانت الإخباريات والتوجيهيات المهيمنة على السورة. والتوجيه الحجاجي لهما أغلبه تهديد وتحذير وترغيب وترهيب، وهذا ما يناسب السياق العام لآيات السورة. وقد طغى اسم الفاعل والصّفة لما فيهما من توجيه حجاجي وبين ما هو بلاغي؛ كالاستعارة

والتشبيه، والذي كان القصد منها التأثير والإقناع في المخاطب، أما بالنسبة للبديع فقد طغى الطباق عليها والتوجيه الحجاجي منه هو الوعيد والتهديد لمن كفر بالله عزّ وجل.

- أما الآليات شبه المنطقية فقد استحوذ السّلّم الحجاجي بتدرج الحجج المنطقية للوصول إلى نتيجة تسعى إلى إقناع المتلقي وهو لب ما يسعى إليه الحجاج.

في نهاية هذا العمل نرجو أن نكون قد حققنا ولو قليلا مما كنا نصبو إليه من خلال هذه الدراسة الخاصة بآليات المحاججة، فما كان فيها من صواب فمن الله عزّ وجل وما كان فيها من خطأ أو زلل فمنّا ومن الشيطان.

والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، مج2، دط، 1399هـ/ 1979م.
- إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، المكتب الجامعي الحديث، دت.
- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرّحاب الحديثة، لبنان، ط1، 2010.
- ----------، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 2006.
- جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ج3، ط1، 1985.
- أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، تح: محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت.
-أبو الحسن علي بن عيسى الرمّاني، معاني الحروف ،تح: عرفان بن سليم حسونة، ، المكتبة العصرية، ط1، ، بيروت، 2005م.
- حمو النقاري، الحجاج طبيعته ومجالاته ووظائفه وضوابطه، النجاح الجديد، الدار البيضاء، ط1، 1427هـ/2006م.
- الخنساء، ديوان الخنساء، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004.
- ديوان الهذليين، تح: أحمد الزّين، أبو الوفاء، دار الكتب، القاهرة، مصر، دط، 1965.
- صابر حباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008
- ضياء الدين الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، دت.
- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1.
- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998.

- ----------، في أصول وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرّباط، المغرب، ط2، 2000.
- ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار لكتب العالمية، بيروت – لبنان، ط1، 1983،
- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف ، مصر، ط4،ج3، 2009.
- أبوعثمان عمرو بن بحرالجاحظ، البيان والتبين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003، ج1.
- عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب، أربد، الأردن، ط1، 2012.
- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، المقدمة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 2005.
- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، افريقيا الشرق، المغرب،ط1، 2006.
- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد، ط1، مارس 2004.
- علي الشبعان، الحجاج وآفاق التأويل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2010.
- عمر أوكان، اللغة والخطاب، رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2011.
- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، ج4، 2003.
- أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، أساس البلاغة ، دار صادر، بيروت ،دت.
- قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، دط، 2012.
- لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، مطبعة الرمال، ولاية الوادي، الجزائر، دط، 2020.

- لطفي فكري، محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 2014.

- مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تطبيق على السور المكيّة، دار مكتبة عدنان، ط1، 2015.

-محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، دط، 2014.

- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التّخيّل والتداول، افريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012.

- ----------، في بلاغة الخطاب الإقناعي، افريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2002.

- محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المكتبة المصرية، بيروت، دط، دت، ج3.

- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج2

- محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة العربية، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

- معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1424،1/ 2003.

- المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، ط4، 1425 /2004.

- ناصر عمارة، الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، ط1، 2009.

- ابن هشام، شرح جمل الزجاجي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، دط، ج4، 2004.

- أبو هلال العسكري، كتاب الصّناعتين، الكتابة والشعر، تح: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 1986

- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد الحميد التركي، دار الغرب الإسلامي، المغرب، ط2، دت.

المجلات والدوريات:

- إبراهيم عبد العالي حنفي، الحجاج في القرآن الكريم، سورة الكهف أنموذجا، مجلة الدراسات العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

- حنان إسماعيل عمايرة، الحجاج والتداولية في الخطاب القرآني، في سورة الكهف، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع 2، ج14.

- علي بن محمد الحمود، جماليات الترابط في قصص سورة الكهف، مجلة الدرعية، ع40-44، 2008.

- فايزة بوصلاح، خصائص الحجاج في الخطاب القرآني، مجلة الحضارة الإسلامية، ع 26-2015،30.

- محمد فارح، الشرط وأثره الحجاجي مقاربة تداولية حجاجية "في مناظرة بين العلم والجهل"، مجلة (لغة -كلام)، لمج 7، ع 1، 2021.

- محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، ع3، مارس 2000.

- مسعودة الساكر، الروابط الحجاجية في القارآن الكريم- نماذج مختارة، مجلة الآداب، مج21، ع 1، ديسمبر، 2021.

- معروف سعاد، القيم التربوية في قصص سورة الكهف، دراسة تحليلية مقاصدية، قسم العلوم الإنسانية شعبة العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 2014/2013.

- هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع5، مارس 2006.

فهرس الموضوعات

الفهرس

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
مدخل: مفاهيم الحجاج عند العرب والغرب	
أولا: مفهوم الحجاج	8
1-المعنى اللغوي	8
2-المعنى الاصطلاحي	9
ثانيا: الحجاج عند العرب	9
1-القدامى	9
2- المحدثون	10
ثالثا: الحجاج عند الغرب	11
1-القدامى	11
2-المحدثون	11
الفصل الأول	
المبحث الأول: مفهوم الخطاب القرآني	17
أولا: مفهوم الخطاب القرآني	17
ثانيا: الحجاج في القرآن الكريم	18
ثالثا: خصائص الحجاج القرآني	19
المبحث الثاني: الخطاب والإقناع ودلالة الحجاج في القرآن	22
أولا: الحجاج والخطاب	22
ثانيا: الحجاج والإقناع	22
ثالثا: دلالة الحجاج في القرآن	24
المبحث الثالث: الآليات الحجاجية	25
أولا: الآليات اللغوية	25
ثانيا: الآليات البلاغية	27
ثالث: الآليات شبه المنطقية	29

الفصل الثاني

المبحث الأول: التعريف بسورة الكهف 32

أولا: سبب التسمية 32

ثانيا: سبب نزول السورة 32

ثالثا: مواضيع السورة 33

المبحث الثاني: الآليات الحجاجية في سورة الكهف 34

أولا: الآليات اللغوية 34

1-روابط التعليل 34

2-التراكيب الشرطية 35

3-أفعال الكلام 38

4-الوصف 47

5-تحصيل الحاصل 50

6-العوامل الحجاجية 52

7-معاني الروابط الحجاجية 52

ثانيا: الآليات البلاغية 54

1-الصور البيانية 54

2-المحسنات البديعية 56

ثالثا :الآليات شبه المنطقية 60

1-السلم الحجاجي 60

2-الروابط الحجاجية 61

خاتمة 64

قائمة المصادر والمراجع 66

فهرس الموضوعات 70